وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعـة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

الدور التاريخي والحضاري لمدينة المهدية في العصر الوسيط (300-336 ه/912-948 م)

مذكّرة مقدّمة لاستكمال متطلّبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصّص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إشراف الأستاذة:

أ.د/بن صغير حضري يمينة

إعداد الطالبة :

أمينة زروال

أعضاء لجنة المناقشة

الإسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
د / تكيالين محمد	أستاذ التعليم العالي	غرداية	رئيسا
أ.د/بن صغير حضري يمينة	أستاذة التعليم العالي	غرداية	مشرفا ومقررا
أ.د/ وانس صلاح الدين	أستاذ التعليم العالي	غرداية	مناقشا

الموسم الجامعي:

1445هـ- 1446هـ / 2024-2025م

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

الدور التاريخي والحضاري لمدينة المهدية في العصر الوسيط (300-336 ه/912-948 م)

مذكّرة مقدّمة لاستكمال متطلّبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصّص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إشراف الأستاذة:

إعداد الطالبة : أ.د/بن صغير

أمينة زروال حضري

يمينة

أعضاء لجنة المناقشة

الإسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
د / تكيالين محمد	أستاذ التعليم العالي	غرداية	رئيسا

أ.د/بن صغير حضري يمينة	أستاذة التعليم العالي	غرداية	مشرفا ومقررا
أ.د/ وانس صلاح الدين	أستاذ التعليم العالي	غرداية	مناقشا

الموسم الجامعي:

1445ه– 1446ه / 2024–2025م

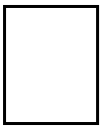

الإهداء

أهدي هذا العمل إلى والدي الكريمين، مترحمة على روح أبي الطاهرة، سائلة المولى عز وجل أن يسكنه فسيح جناته، وداعية لأمي الغالية بطول العمر والصحة والعافية.

إلى زوجي العزيز ، رفيق الدرب والداعم الأول ، إلى قرة عيني و بهجتي : ابني لؤي و ابنتي رزان مصدر سعادتي و أملي في الحياة

إلى أخواتي الحبيبات : فاطمة ، سمية ، أسماء، مريم .

و إلى أخي الغالي عبد الغني.

و لكل أهلي و أحبتي وصديقاتي.

أهدي هذا العمل عربون شكر و امتنان ومحبة.

شكر وعرفان

يقول الامام رضي الله عنه : << من جعل الحمد خاتمة النعمة ، جعله الله فاتحة المزيد >>

فالحمد لله الذي من علي بانجاز هذا العمل و الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه على فضله وكرمه ونعمه التي لا تعد ولا تحصى

وانطلاقا من قول النبي صلى الله عليه وسلم: " من لا يشكر الناس لا يشكر الله "

أتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان إلى أستاذتي المشرفة الدكتورة بن صغير حضري يمينة على قبولها الإشراف على هذه المذكرة وعلى ما بذلته معي من جهد ووقت ، و ما قدمته من نصائح قيمة وتوجيهات بناءة ساعدتني كثيرا في إنجاز هذه الدراسة ، فجزاها الله عني خير الجزاء .

كما أتوجه بخالص الشكر و الامتنان لزوجي العزيز ، السيد بن عبد المولى ناصر على دعمه المادي والمعنوي و مساندته لي في كل مراحل إنجاز هذا العمل ، فله مني كل الحب والتقدير.

و لا يفوتني أن أعبر عن امتناني العميق لكل أساتذتي في قسم التاريخ بجامعة غرداية و خاصة دكاترة تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط الذين رافقوني طيلة الموسم الجامعي ولم يبخلوا علينا بالنصح و الإرشاد.

و في الختام أشكر من أعماق قلبي كل من ساعدني وساندني وساهم في إنجاز هذا لعمل من قريب أو بعيد ولو بكلمة طيبة

مـقــدمــة

اعتبر الغرب الإسلامي في العصر الوسيط مجالا حيويا لقيام عدد من الدول المستقلة عن المشرق الإسلامي حيث أدت هذه الكيانات السياسية دورا محوريا في رسم مسار الأحداث التي شهدتها المنطقة، كما أسهمت في بناء حضارة متميزة امتزج فيها البعد السياسي مع العمق الثقافي والعمراني، وقد عُرفت هذه الدول بعواصمها التي شكلت مراكز إشعاع حضاري وسياسي عكست قوتها ومكانتها بما احتوته من معالم دينية وعسكرية ومدنية، فكانت تيهرت عاصمة الدولة الرستمية وقلعة بني حماد ثم بجاية مركزا للدولة الحمادية ومراكش قاعدة للمرابطين ثم الموحدين، وقرطبة عاصمة الدولة الأموية بالأندلس، وتلمسان حاضرة الدولة الزيانية ...وغيرها

وفي هذا السياق برزت مدينة المهدية التي أسسها الفاطميون على ضفاف البحر الرومي مطلع القرن الرابع الهجري والعاشر الميلادي، لتكون أول عاصمة لهم بالمغرب الإسلامي، وقد جاءت نشأتها في ظل ظروف سياسية معقدة، إذ سعى الفاطميون من خلالها إلى ترسيخ وجودهم السياسي، وضمان سيطرتهم على المنطقة، إضافة إلى تحصين دولتهم من الأخطار الداخلية والخارجية، ولم تقتصر المهدية على بعدها السياسي والعسكري، بل تميزت أيضا بكونها مركزا حضاريا احتضن مختلف الأنشطة، مما جعلها شاهدا بارزا على مرحلة مفصلية في تاريخ المغرب الإسلامي.

وانطلاقا من ذلك كان موضوعنا الموسوم بـ:

الدور التاريخي والحضاري لمدينة المهدية في العصر الوسيط(300 ه / 912 م –336 ه / 948 م).

أولا – أسباب اختيار الموضوع:

جاء اختيارنا لهذا الموضوع بناءً على عدة دوافع يمكن اجازها في:

01– أسباب ذاتية:

اختياري لهذا الموضوع نابع من اهتمامي بدراسة الحواضر الإسلامية التي شكلت مراكز إشعاع سياسي وحضاري خاصة بالغرب الإسلامي، إذ لطالما استهواني البحث في دور المدن في صنع التحولات التاريخية الكبرى، ومن هذا المنطلق جاءت مدينة المهدية كنموذج

مميز استحق الوقوف عنده، لما تحمله من خصوصية باعتبارها أول عاصمة للفاطميين بالمغرب الإسلامي.

02 – أسباب موضوعية:

لقد شكل تفرد مدينة المهدية في تاريخ المغرب الاسلامي عاملا أساسيا في اختياري لها موضوعا للبحث إذ تجمع بين بعدين متكاملين:

البعد التاريخي المتمثل في كونها العاصمة الأولى للدولة الفاطمية منذ تأسيسها سنة 300ه/912م حيث شهدت أوج إزدهارها السياسي والحضاري إلى غاية سنة 336ه/948م، والبعد الحضاري الذي تجلى في ازدهار أنشطتها الاقتصادية والتجارية والحِرَفية، فضلا عن مكانتها الثقافية خاصة من الناحية العلمية.

وقد مثلت هذه المرحلة بحق العصر الذهبي للمهدية، قبل أن تبدأ بفقدان هذا الدور تدريجيا إثر انتقال الفاطميين إلى مصر.

وما زاد من جاذبية هذا الموضوع هو وفرة المادة العلمية التي تناولت نشأة المهدية ودورها في العصر الوسيط سواء في المصادر العربية أو في الدراسات الحديثة، مما أتاح إمكانية تناول المدينة من منظور يجمع بين الجانبين التاريخي والحضاري معا وإبراز مكانتها ضمن مسار الحضارة الإسلامية في الغرب الإسلامي.

ثانيا:الإشكالية

لمعالجة هذا الموضوع قمنا بطرح الإشكالية التالية:

كيف أسهمت مدينة المهدية باعتبارها عاصمة للفاطميين في ترسيخ نفوذهم السياسي وإبراز مكانتها الحضارية في المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط؟

وللإجابة على هذه الإشكالية وجب علينا طرح بعض التساؤلات الفرعية المتمثلة في الآتي:

1- ما هي الظروف السياسية والدينية التي مهدت لظهور الدولة الفاطمية وتأسيس عاصمتها المهدية؟

2- ما العوامل التي دفعت الفاطميين لاختيار وبناء مدينة المهدية وما خصائصها العمرانية والعسكرية؟

3 – فيما تجلى الدور السياسي والعسكري لمدينة المهدية في دعم استقرار الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي؟

4– فيما تتمثل المظاهر الاقتصادية والاجتماعية والعلمية التي عكست مكانة المهدية كحاضرة حضارية؟

ثالثا:خطة البحث

ولدراسة الموضوع تم تقسيم المذكرة إلى ثلاثة فصول أساسية: الفصل الأول خصص لدراسة نشأة الدولة الفاطمية وتأسيس مدينة المهدية حيث تناولنا في المبحث الأول تاريخ قيام الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي بدءاً من مرحلة الدعوة السرية ونشر المذهب الإسماعيلي، وصولا إلى تأسيس الدولة على يد أبي عبيد الله المهدي ، أما المبحث الثاني فتناولنا تأسيس مدينة المهدية من خلال تبيان دوافع اختيار موقعها والأحداث التي سبقت إنشائها، ثم التطرق إلى عملية بنائها، أما الفصل الثاني فقد تناول الدور التاريخي لمدينة المهدية من خلال المبحث الأول الذي يضم التغيرات السياسية في بلاد المغرب الإسلامي في ظل الحكم الفاطمي، مبرزين التوسعات الفاطمية، وعلاقتهم بالقوى المجاورة كالأمويين والبيزنطيين ودول المغرب الإسلامي، وفي المبحث الثاني تم التطرق إلى السياسة الخارجية للدولة الفاطمية مع إبراز الاتفاقيات السياسية التي عقدتها و أهمية المهدية كمركز سياسي للدعوة الفاطمية، في حين تم التطرق في الفصل الثالث إلى الدور الحضاري لمدينة المهدية من خلال المبحث الأول الذي تناول الحياة الاقتصادية للمدينة بدراسة النشاط الفلاحي والحرف ثم النشاط التجاري عبر الموانئ ودوره في التبادل التجاري .

ثم أنهيت البحث بخاتمة تضمنت أهم الاستنتاجات العلمية حول الموضوع ، ودعمت الدراسة بمجموعة من الملاحق قصد التوضيح، والتوسع في ما لم يسعن إيراده في المتن، إضافة إلى قائمة المصادر والمراجع المعتمدة.

رابعا: أهمية الموضوع

تكمن أهمية هذا الموضوع في كونه يسلط الضوء على أول عاصمة فاطمية بالمغرب الإسلامي بما تحمله من أبعاد سياسية وعسكرية وحضارية، كما يساعد في إبراز دورها الاستراتيجي بالبحر الغربي ومحاولة إبراز مكانتها بين مختلف المدن الإسلامية، ودورها في التاريخ الوسيط، فضلا عن المساهمة في البحث حول هذه الحاضرة الهامة .

خامسا:أهداف الدراسة

1- إبراز الظروف السياسية و الدينية التي أدت إلى نشأة المهدية كعاصمة للفاطميين .

2- توضيح الأبعاد الإستراتيجية والعمرانية التي ميزت موقع المهدية وتحصيناتها.

3- دراسة دوافع إنشاء مدينة المهدية والغايات التي أراد الفاطميون تحقيقها من ورائها.

4- تحليل الدور السياسي والعسكري الذي قامت به المهدية في ترسيخ سلطة الفاطميين بالمغرب الإسلامي.

5- الكشف عن المظاهر الاقتصادية والاجتماعية والعلمية التي عكست مكانة المهدية الحضارية.

6- إبراز دور المهدية كحاضرة إسلامية بارزة في مسار تاريخ الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط .

سادسا: الدراسات السابقة

من خلال ما تم الإطلاع عليه من دراسات سابقة حول موضوع البحث تبين وجود دراسات تناولت مدينة المهدية، غير أن معظمها ركز على الجانب العمراني في إطار دراسة العمارة الفاطمية، أو على البعد السياسي أكثر من الجوانب الحضارية والاجتماعية، ومع ذلك يمكن الإشارة إلى بعض الدراسات المتخصصة ومن بينها:

- رسالة الماجستير للباحث غفران محمد عزيز بعنوان مدينة المهدية (300 - 543 ه / 912 - 1148 م) التي عالجت ثنائية الازدهار و الانحدار في تاريخ المهدية، مبرزة كيف أصبحت مركزا مزدهرا للفاطميين، ثم كيف فقدت مكانتها بفعل عوامل سياسية و عسكرية.

سابعا: المنهج المتبع

اقتضت طبيعة هذا الموضوع الاستعانة بعدة مناهج تكاملت فيما بينها لتقديم رؤية شاملة. فقد اعتمدتُ على المنهج التاريخي من خلال تتبع نشأة الفاطميين وفكرة قيام دولتهم ابتداءً من الدعوة الإسماعيلية و تطورها في المشرق، وصولا إلى انتقالها للمغرب الإسلامي و تأسيس الدولة الفاطمية على يد أبي عبيد الله المهدي. كما وظفتُ المنهج الوصفي باستعراض الأحداث والوقائع ذات الصلة ، خاصة فيما يتعلق بتأسيس مدينة المهدية وبنائها . وإلى جانب ذلك اعتمدتُ على المنهج التحليلي لاستخلاص الدوافع و الأسباب التي أسهمت في إنشاء المدينة ومنحها مكانتها المميزة تاريخيا و حضاريا في بلاد المغرب الإسلامي مستندة في ذلك إلى المادة العلمية المتاحة.كما استعنتُ بالمنهج المقارن من خلال الموازنة بين ما ورد في المصادر المختلفة بخصوص تاريخ الأحداث.

ثامنا: دراسة لأهم المصادر والمراجع

اعتمدت هذه الدراسة على قدر واسع من المصادر و المراجع بما أتاح مقاربة شاملة لموضوع الدور التاريخي والحضاري لمدينة المهدية في العصر الوسيط .

1- المصادر التاريخية العامة:

جاء في مقدمة هذه الكتب والتي أفادتني في ضبط الإطار الزمني والجغرافي للأحداث أذكر:

- كتاب العبر وديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر لابن خلدون (ت 808 ه / 1406 م) الجزء الرابع الذي ساعدني على ضبط الاطار الزماني والجغرافي للأحداث ورصد الأوضاع بالمغرب قبيل تأسيس الدولة الفاطمية، إضافة إلى ما أورده عن مظاهر الحياة في المهدية وظروف تأسيسها.

- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى المراكشي (ت بعد 712 ه / 1313 م) الجزء الأول الذي تتبع بدايات الدولة الفاطمية وبناء مدينة المهدية ورصد السياسة الفاطمية داخليا وخارجيا داخليا خارجيا فضلا عن وصفه للحياة الاقتصادية والاجتماعية.

- الكامل في التاريخ لابن الأثير (630 ه / 1233 م) الجزء السادس والسابع فقدم مادة قيمة حول أوضاع المغرب الإسلامي قبيل الدعوة الإسماعيلية وأثناء انتشارها وقيام الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي وتأسيس مدينة المهدية.

- وأخبار ملوك بني عبيد وسيرهم لابن حماد (ت 628 ه / 1230 م) وفر لي هذا الكتاب تفاصيل كثيرة عن قيام الدولة الفاطمية وسيرة خلفائها الأوائل ودعاتها مثل عبيد الله المهدي وأبي عبد الله الشيعي.

- كما كان لكتابي المقريزي اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الخلفا وكتاب الإعتبار بذكر الخطط والآثار معلومات غنية ومادة دسمة في تتبع بدايات الدعوة الإسماعيلية وعن مراحل قيام الدولة الفاطمية، وبناء مدينة المهدية وتسميتها ووصفها ، وسياسة الفاطميين الداخلية والخارجية.
- كتاب افتتاح الدعوة للقاضي النعمان (ت 363 ه / 974 م) الذي قدم تصورا وافيا عن الدعوة الإسماعيلية.

2 – المصادر المذهبية والعقائدية:

أثرت هذه الدراسة بجملة من المؤلفات التي اهتمت ببيان المذاهب والفرق الإسلامية ومنها:

- الملل والنحل للشهرستاني (ت 548 ه/1153 م) والفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (ت 456 ه / 1064 م)، التي أفادتني في التعريف بالمذاهب والاختلافات العقائدية التي طبعت البيئة الفكرية التي نشأت فيها الدعوة الفاطمية.

3 – كتب الرحلة والجغرافيا:

كان لهذه الفئة من المصادر أهمية خاصة في دراسة الأوضاع المادية والعمرانية للمهدية فأذكر منها:

معجم البلدان لياقوت الحموي (ت 626 ه/ 1229 م) والذي أفدت منه في التعريف بالمدن والمجتمعات المغاربية.

– أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي (ت 380 ه / 990 م) وكتاب صورة الأرض لابن حوقل أفادني الكتابان في دراسة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في بلاد المغرب الإسلامي من خلال الوصف الوافي لهذه البلاد.

– الروض المعطار في خبر الأَقطار للحميري (ت 727 ه / 1327 م) ساعدني على تتبع دور المهدية الدفاعي عن الدولة الفاطمية في مواجهة الثورات وصمودها كعاصمة لهم.

– وكتاب رحلة التيجاني للتيجاني (ت 717 ه /1317 م) قدم وصفا لمدينة المهدية وعلاقتها بالخليفة الفاطمي الأول أبي عبيد الله المهدي وتفاصيل بنائها واختيارها كعاصمة أولى للفاطميين.

–كتابي المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب و المسالك والممالك لأبي عبيد البكري (ت 487 ه / 1094 م) ساعداني في ضبط دوافع وتواريخ تأسيس الدولة الفاطمية وبناء مدينة المهدية .

– نزهة المشتاق للشريف الإدريسي والذي أورد فيه تفاصيل عن الحياة في مدينة المهدية من الجانب الاقتصادي والاجتماعي.

4– كتب التراجم والسير:

وفيات الأعيان لابن خلكان والذي أفادني كثيرا في التعرف على دعاة المذهب الإسماعيلي والخلفاء الفاطميين وضبط تواريخ ميلادهم ووفياتهم وهو ما ساعد في توثيق شخصيات محورية في البحث خاصة عبيد الله المهدي لأن هذه الشخصية لها علاقة مباشرة مع موضوع بحثي و أبي عبد الله الشيعي.

كما أضاف كتاب أعمال الأعلام لابن الخطيب معطيات حول الدوافع الجغرافية والعسكرية التي حفزت أبي عبيد الله المهدي على تأسيس مدينة المهدية.

يتضح من خلال هذا التنوع أن المصادر التي اعتمدت عليها قدمت صورة متعددة الأبعاد عن موضوع الدراسة إذ جمعت بين السرد التاريخي والتحليل المذهبي والوصف الجغرافي، غير أنها تبقى محكومة بحدود عصرها وبما يعتريها من تحيز مذهبي أو اختصار في عرض الوقائع

وهو ما استدعى التعامل معها بمنهج نقدي قائم على المقارنة والموازنة بين الروايات المختلفة، للوصول إلى تصور أقرب ما يكون إلى الموضوعية العلمية .

5-المراجع:

ارتكزتُ في هذا البحث على جملة من المراجع الأساسية التي تناولت الدولة الفاطمية ومدينة المهدية من زوايا متعددة سمحت بتكوين رؤية تاريخية وحضارية متكاملة. ومن أبرز هذه المراجع أذكر:

-كتاب لحسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف "عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية " وهو من أبرز الأعمال التي تناولت شخصية المؤسس الأول للدولة الفاطمية، حيث قدم قراءة تحليلية لمساره السياسي والعقائدي ، وربط بين تكوينه الفكري والظروف الاجتماعية والسياسية التي ساعدت على قيام الدولة الفاطمية. وتبرز أهمية الكتاب في كونه يوفر أساسا أوليًا لفهم شخصية أبي عبيد الله المهدي ودوره المحوري في التاريخ الإسلامي الوسيط.

- أما كتاب عبد الله محمد جمال الدين " الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها لمصر"عالج هذا الكتاب مسار الفاطميين منذ ظهورهم في بلاد المغرب حتى استقرارهم النهائي بمصر. واستفدت منه في دراسة العوامل التي ساعدت على توسع الفاطميين داخليا وخارجيا مع ربط المراحل التاريخية بالسياق العام للعالم الإسلامي.

- وفي جانب آخر يبرز كتاب حسن علي الخربوطي "أبو عبيد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية" الذي أولى عناية خاصة بالدور الذي قام به الداعية الشيعي في تمهيد الأرضية لقيام الدولة الفاطمية ،مُبَيِّنًا أساليبه في الدعوة ،وهو ما أفادني في فهم البعد الدعوي والسياسي في تأسيس الدولة.

- أما على مستوى العمارة والفنون، فقد كان كتاب "العمارة الفاطمية : الحربية- المدنية- الدينية" لمحمد عبد الستار عثمان مرجعا رئيسيا في كشف الخصوصيات العمرانية التي ميزت

مدينة المهدية، حيث تناول المؤلف أنماط العمارة وربطها بالتحولات السياسية والعقائدية ،مما أتاح تصورا أوضح لطبيعة المدينة وبنيتها العمرانية.

-أما كتاب الخلافة الفاطمية بالمغرب" لمحمد الدشراوي فقد منحني قراءة تحليلية، إضافة إلى كتابين لأحمد مختار العبادي وهما "في التاريخ العباسي والفاطمي و" في تاريخ المغرب والأندلس" اللّذَين قدما خلفية شاملة عن الإطار العام للعصر الوسيط حيث تمت دراسة التفاعلات السياسية والدينية على حد سواء كما ساعدني كتاب لأيمن فؤاد بعنوان الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد في دراسة الأوضاع السياسية والاجتماعية في بلاد المغرب موضحا كيف تفاعلت القوى المحلية والقبلية مع الدعوة الفاطمية.

من خلال هذه المراجع وأخرى ،يمكن القول أن الدراسات الأولى للدولة الفاطمية ركزت على البعد السياسي والعقائدي بينما جاءت الدراسات الحديثة لتعزز هذا الجانب بقراءات اجتماعية وعمرانية. وقد مكن الجمع بينهما من صياغة تصور شامل لمدينة المهدية كعاصمة سياسية وحضارية للفاطميين في المغرب الإسلامي.

تاسعا:صعوبات البحث

أثناء إنجاز هذه الدراسة اعترضتني جملة من الصعوبات، لعل أبرزها قلة الخبرة في التعامل مع المصادر التاريخية ،كما أن وفرة المادة العلمية على أهميتها في الإحاطة بالموضوع قد تضع الباحث أمام إشكالية انتقاء المصادر الأكثر دقة وشمولية وارتباطا بالمنهج التاريخي المعتمد وإلى جانب ذلك ،فإن تكرار المعلومات في المصادر المختلفة، على الرغم من فائدته في تثبيت المعلومة التاريخية يؤدي أحيانا إلى تضارب الروايات، مما يستدعي جهدا أكبر في التمحيص والمقارنة لاختيار ما هو أقرب للحقيقة التاريخية.

الفصـــل الأول:
نشأة الدولة الفاطمية وتأسيس مدينة المهدية

المبحث الأول: قيام الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي

المبحث الثاني: تأسيس مدينة المهدية

تمهيد:

البحث في تاريخ المهدية يقتضي العودة إلى جذور نشأتها في إطار التحولات الكبرى التي شهدها المغرب الإسلامي مع ظهور الدولة الفاطمية، إذ ارتبط تأسيسها مباشرة بانتقال الدعوة الإسماعيلية من مرحلة العمل السري إلى قيام كيان سياسي جديد مثله عبيد الله المهدي بصفته مؤسسا وقائدا. هذا التحول لم يكن مجرد حدث سياسي فحسب، بل حمل أبعادا عقدية واجتماعية عميقة غيرت موازين القوى في المنطقة، وأفرزت الحاجة إلى إنشاء عاصمة جديدة تضمن للدولة الوليدة الاستقرار السياسي والأمني، وتوفر لها قاعدة اقتصادية وتجارية متينة.

من هنا جاء اختيار موقع المهدية على الساحل الشرقي لإفريقية بعناية بالغة ، ليجعل منها مدينة محصنة تؤدي في الوقت نفسه وظائف عسكرية و دبلوماسية واقتصادية ، و هو ما يفسر المكانة المميزة التي احتلتها في التاريخ والحضارة الإسلامية خلال العصر الوسيط .

– المبحث الأول: قيام الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي

تعد دراسة جذور الدولة الفاطمية منطلقا أساسيا لفهم مسارها التاريخي والسياسي إذ لا يمكن الإحاطة بكيانها إلا بالعودة إلى مرحلة الدعوة التي سبقت قيامها ، وما ارتبط بها من ظروف فكرية وعقائدية واجتماعية. فهذه المرحلة شكلت الأساس الذي انبنى عليه قيام الدولة الفاطمية، حيث تبلورت فيها معالم المذهب الإسماعيلي وانتشرت دعوته ممهدة السبيل لقيام الدولة فيما بعد.

أولا: مرحلة الدعوة السرية ونشر المذهب الإسماعيلي

تنتسب الدولة الفاطمية إلى فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نسب مختلف فيه وفي انتسابه لآل البيت ، والأولى تسميتها الدولة العبيدية نسبة إلى مؤسسها عبيد الله المهدي ، وهو أيضا أثيرت حوله الشكوك و الاختلاف في أصل عقيدته[1].

و إن بحثنا في تاريخ قيام هذه الدولة علينا الرجوع إلى ما قبل ذلك وهي مرحلة الدعوة إليها والمذهب الذي قامت عليه.

يستمد الشيعة[2] أحقيتهم في حكم الدولة الإسلامية، وأنهم أصحاب الشرعية والحق فيها من اعتقادهم أن علي بن أبي طالب وذريته من بعدهم أصحاب الحق الشرعي في الحكم الإسلامي ، وأن الأمويين انتزعوها منهم ، فلم يعترفوا بحكم بني أمية وولوا على أنفسهم أئمة من ذرية علي ، وعملوا جاهدين لجمع الخلافة كسلطة زمنية والإمامة كسلطة دينية وروحية لهم[3].

و نتيجة لهذا استمر الشيعة في إعلان الثورات ضد الأمويين وهذا الذي دفع بهؤلاء إلى ردة فعل عنيفة و قاسية ، هذه القسوة و العنف ولّد لدى الناس تأييدا وعطفا على الشيعة ، الأمر الذي استغله العباسيون (والهاشميون أيضا) وتحويله لمبدأ " الرضى من آل البيت " ونجحوا في

---

1 – ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1977 م، المجلد الخامس، ص 230.

2– **الشيعة** : هم الذين شايعوا على بن أبي طالب وقالو بإمامته وخلافته نصا أو وصية ، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده وقالو أن الإمامة ركن الدين ، ويقولون بعصمة أئمتهم ، ينظر أبو الفتح الشهرستاني : **الملل والنحل** ، تحقيق محمد سيد الكيلاني ، دار المعرفة ، بيروت ، ج 1 ،ص 146 . ينظر أبو محمد بن حزم : **الفصل في الملل والأهواء والنحل** ، تحقيق محمد ابراهيم نصر وعبد الرحمان عميرة ، دار الجيل ، بيروت ، ج 5 ، ص 35 .

3 – محمد ضياء الدين الريس: **النظريات السياسية الإسلامية** دار التراث، الطبعة السابعة، القاهرة – مصر، 1976 م ص 95 – 120 .

تحويل الناس حوله لكن بالمقابل لما تولى الخلافة واحد من ذرية العباس لم يرضي ذلك العلويين فقاموا بثورات ضد العباسيين لتمكين خصومهم منهم ، فكانت كلما قامت ثورة أخمدها العباسيون[1].

إضافة إلى ما سبق انقسم الشيعة إلى فرق وطوائف عديدة زاد من ضعفهم ، هذه الحالة من الضعف والتناحر أدركها أحد الأئمة وهو اسماعيل بن جعفر إذ أيقن أنه باستمرار الوضع لن يتحقق الهدف وهو حكم الدولة الإسلامية ، لذلك كون جماعة لديها تفكير ونظام اجتماعي وديني وسياسي خاص بها وهي الطائفة الإسماعيلية [2]، و التي نجحت في تأسيس الدولة الفاطمية[3] .

من أهم مبادئ هذه الجماعة هو التستر والمبالغة في التمويه ، و الاعتماد على حجة يعهد إليه بأمر الدعوة وتنظيمها ونشر الدعاة في مختلف البلاد و لقد اتخذ الإمام الحجج و أمرهم أن يَتَسمّوا باسم الإمام وكان الدعاة في البلاد المختلفة يختلفون في ذكر الإمام حتى لا ينكشف أمره ويقع في قبضة العباسيين .

ورغم ذلك في عهد الخليفة المأمون ظهر أمر الدعاة و كان الإمام هو عبيد الله المهدي ابن محمد بن اسماعيل فتتبعه العباسيون و قتلوا أسرته مما اضطره للهرب إلى "سلمية " ولم يبح لأحد بأسرار دعوته ومنذ ذلك وسلمية هي مركز الدعوة الإسماعيلية و منها يرسل الدعاة لبث الدعوة باسم الإمام الذي كانوا يحرصون على إخفاء اسمه[4].

و في عهد الإمام الحسين ابن أحمد لاقت الدعوة رواجا عظيما وانتشرت في اليمن على يد الداعية " ابن حوشب " و في بلاد المغرب على يد الداعيان " الحلواني و أبي سفيان "[5] .

1- ابن خلدون عبد الرحمان: **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر** مراجعة سهيل زكار، خليل شحادة ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ،2000 م ، الجزء الرابع ، ص ص 5-12 .

2- **الطائفية الإسماعيلية** :إحدى فرق الشيعة الباطنية ، ساقوا الإمامة إلى جعفر الصادق وزعموا أن الإمام من بعده إبنه إسماعيل وافترق هؤلاء إلى فرقتين فرقة منتظرة لإسماعيل مع اتفاق المؤرخين على موته في حياة أبيه وفرقة ثانية قالت أن الإمام بعد جعفر سبطه محمد بن إسماعيل بن جعفر . ينظر الإسفرائيني : **الفرق بين الفرق** ، تحقيق محمد محي الدين عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الإسفرائيني ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط 2 ، 1977 م ، ص 265 .

3 - حسن إبراهيم حسن ، طه أحمد شرف : **عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب** ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة – مصر ، 1947 م ص 21 .

4 - عبد الله محمد جمال الدين : **الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها لمصر** ، دار الثقافة و النشر والتوزيع ، القاهرة – مصر ، 1991 م ، ص 39.

5- إدريس عماد الدين القرشي: **عيون الأخبار وفنون الآثار**، تحقيق مصطفى غالب، دار الأندلس للطباعة والنشر و التوزيع، الطبعة الثانية، بيروت – لبنان، 1986 م، ص 395.

ذكر ابن خلدون أن الحلواني وأبي سفيان هما اللذان يرجع لهما أصل ظهور الشيعة بإفريقية ، وهما اللذان أوفدهما جعفر الصادق وقال لهما : " بالمغرب أرض بور ، فاذهبا واحرثاها حتى يجئ صاحب البذر " فنزل أحدهما ببلد مراغة والآخر بسوق جمار ، وكلتاهما من أرض كتامة ، فغشت هذه الدعوة في تلك النواحي[1] .

ليكمل عبد الله الشيعي [2] مسيرتهما بعد لقائه بابن حوشب الذي جعله من أصحابه لِما رأى فيه من مكر و دهاء فأعطاه مالا وأرسله للمغرب لنشر الدعوة هناك ، إذ وجدهما هَيئا لانتشار الدعوة إذ استطاع أن يجمع المغاربة حوله بعد إيمانهم به وبدعوته فانتصر على أعدائه وكانت له الغلبة[3] .

وفيما بين (288 ه – 289 ه) وصل عبيد الله إلى مكة وبحث عن وفود المغاربة وتمكن من قلوب الكتاميين حيث استجاب له الكثير من القبائل البربرية بسبب الظلم الذي مارسته عليهم الدولة الأغلبية لأنهم رأوا فيه المخلص[4] .

نجح الداعية أبي عبيد الله الشيعي في نشر الدعوة وسط قبيلة كتامة [5] في إفريقية وحقق نصرا على الأغالبة ، و هذا من أهم الأسباب التي جعلت المهدي يقصد إفريقية[6].

لما ذاع خبر الدولة الإسماعيلية في بلاد اليمن و المغرب بلغ ذلك المكتفي العباسي فعهد إلى بعض الرجال بتعقب حركات عبيد الله والقبض عليه، و حرص هذا الأخير على أن لا يقع في

1- ابن خلدون: المصدر السابق، ج 4، ص 31

2 -**ابو عبد الله الشيعي** : هو أبو عبد الله الحسن ابن أحمد ابن زكريا المعروف بالشيعي من أهل صنعاء باليمن وكان من الرجال الدهاة الخبيرين بما يصنعون ، مهد لتأسيس دولة المهدي بالمغرب ، ينظر ابن خلكان : **وفيات الأعيان** ، جزء 2 ، تحقيق حسان عباس ، دار الثقافة ، لبنان ، ص 192 .

3 – ابن الأثير علي ابن أبي الكرم محمد ابن محمد ابن الكريم الشيباني : **الكامل في التاريخ** ، تحقيق عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، 1994 م ، الجزء 6 ، ص 450 .

4 -نفسه، ص ص599-605.

5 – **قبيلة كتامة** : إحدى قبائل البربر الكبرى ، تشبعوا في بلاد المغرب ، أبتوا فيها ، أكثرهم موطنين في أرياف قسنطينة إلى تخوم بجاية غربا ، الى جبل الاوراس من ناحية القبلة ، ينظر عبد الرحمان بن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 301 .ينظر موسى لقبال : **دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس هجري** ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1979 م ، ص ص 92-95 .

6 – أيمن فؤاد السيد: **الدولة الفاطمية في مصر**، دار المصرية اللبنانية، القاهرة – مصر، 1992 م، ص 49.

قبضة العباسيين و أخفى الوجهة التي سيقصدها و بعد وصوله مصرا رحب به أتباعه و لم يستطع الخليفة العباسي القبض عليه بسبب العون الذي لقيه من أنصاره ثم قرر الرحيل من مصر[1] .

قصد عبيد الله المهدي المغرب منطلقا من الفسطاط في زي التجار ، غير أن عيسى النويشري لحق به وقبض عليه، لكن أطلق سراحه بعد أن رشاه بمال كثير[2] .

عند وصول عبيد الله إلى طرابلس بعث رسولا إلى داعيته عبيد الله الشيعي وجماعته من الكتاميين غير أن زيادة الله الثالث قبض على أبي العباس بالقيروان [3] ، ليخبره الجهة التي يقيم فيها المهدي و لكن هذا الأخير استطاع الهرب مع أتباعه إلى سجلماسة [4] .

ليتجنب إفشاء مكان المهدي [5]. ولكن رغم هذا إلا أن اميرها اليسع بن مدرار [6] شك في أمره وقبض عليه وسجنه بوشاية من اليهود المقيمين هناك [7].

ومن الناحية الأخرى انتصر عبيد الله الشيعي نصرا حاسما بقضائه على الأغالبة فسار مع قادته لسجلماسة مارا على الدولة الرستمية في المغرب الأوسط فحاصرها واستولى على عاصمتها تيهرت (296 ه / 909 م) ، ثم واصل سيره إلى سجلماسة وحارب أميرها يوما كاملا و انهزم و فر فدخل عبيد الله الشيعي المدينة ، و أخرج عبيد الله المهدي من السجن و أوقف الدعاة على أنه الإمام الذي دعا إليه وعرف الجميع به [8]، وقال :" هذا مولاي و مولاكم و ولي أمركم و إمام هديكم ، و مهديكم المنتظر الذي كنت

---

1 – محمد جمال الدين سرور: **النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب**، دار الفكر العربي، القاهرة – مصر، 1967 م، ص 65.

2 – المقريزي تقي الدين أحمد بن علي : **الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء** ، تحقيق جمال الدين الشيال ، لجنة التراث العالمي الإسلامي ، القاهرة ، 1967 م ، ج 4 ، ص 60 .

2– **القيروان:** مدينة عظيمة بإفريقية بناها الفاتح المسلم عقبى بن نافع الفهري سنة 50 ه /669 م ليس في المغرب أجل منها وعندما أعلن المعز الصنهاجي انفصاله عن بني عبيد أرسلوا الاعراب فخربوا البلاد ومنها القيروان . ينظر ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج 4، ص 420.

3– **سجلماسة:** مدينة في أقصى جنوب المغرب كثيرة التمور و الأعناب والفواكه أهلها أهل سنة وقوم جياد وبها علماء وعقلاء و لها عدة أبواب ، ينظر أبو عبد الله المقدسي : **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 1987 ، ص 190 .

5 – ابن الأثير : المصدر السابق ، ص 41 .

5– **اليسع بن مدرار** : تولى الحكم في سجلماسة سنة 270 ه ، تلقب بالمنتصر ، زحف إليه أبو عبد الله الشيعي ، ففر منه ثم ظفر به فقتله سنة 297 ه وانقرضت بذلك دعوة بني مدرار ، ينظر ابن عذارى المراكشي : **البيان المغرب في ذكر أخبار الأندلس و المغرب** ، تحقيق ج . س كولان ول بروفينصال ، دار الثقافة ، بيروت ، ط 3، 1983، ج 1، ص 157.

7 – أحمد مختار العبادي : **في التاريخ العباسي والفاطمي** ، دار النهضة العربية ، بيروت – لبنان ، ص 229 .

أبشر به ، قد أظهر الله عز وجل أمره كما وعد و أيد حزبه و جنده " [1] ، ثم أقام عبيد اله بسجلماسة أربعين يوما ،ثم قصد إفريقية في ربيع الآخر سنة (297 ه / 909 م) ونزل برقادة وأمر بذكر اسمه في خطبة يوم الجمعة بمسجدها الجامع إذ أن الخطبة من علامات الملك، وظلت رقادة مقر الدولة الجديدة حتى تم إنشاء المهدية سنة (308 ه / 920 م) [2]

بعد هذه الأحداث، كانت نهاية حياة أبي عبد الله الشيعي على يد عبيد الله المهدي بعد انقلاب مودتها إلى عداوة و اهتزاز الثقة بينها وتوتر العلاقة بينهما عموما ما نتج عنه قرار الإمام بوضع حد لحياة أبو عبيد الله الشيعي [3].

ثانيا : تأسيس الدولة الفاطمية على يد عبيد الله المهدي :

بعد أن استعرضنا جذور الدولة الفاطمية وأُسُسَهَا العقدية والفكرية، أصبح من الضروري التوقف عند شخصية مؤسس الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي، وهو عبيد الله المهدي إذ يشكل التعريف به مدخلا لفهم ظروف نشأته، ومسيرته الفكرية والسياسية، والدور الذي قام به في تحويل الدعوة من إطارها النظري إلى كيان سياسي قائم بإفريقية .

1- التعريف بعبيد الله المهدي (ت 322 ه) :

أول الخلفاء الفاطميين ، اختلف في نسبه الى الحسين بن علي رضي الله عنهما فمن مسلمين بما ادعاه ومقرين بما حكاه منهم ابن الأثير وابن خلدون و منهم من نفى و دفع ذلك من أمثال ابن خلكان و الباقلاني ، فبين هذا وذاك يذكر علي بن حماد في كتابه أخبار بني عبيد و سيرتهم أنه يميل إلى قول ابن خلدون و ابن الأثير و يعرفه على : " أنه عبيد الله ابن محمد ابن الحسين ابن محمد ابن اسماعيل ابن جعفر ابن محمد ابن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهم[4] ، ولد بسلمية[5] من بلاد الشام و قيل ببغداد سنة

---

8 – أحمد مختار العبادي : المرجع سابق ، ص 230 .

1 – القاضي النعمان : **افتتاح الدعوة** ، تحقيق فرحات الدشراوي ، الطبعة الثانية ، الشركة التونسية للنشر والتوزيع ، تونس ، 1986 م ، ص287 .

2 – المقريزي : **المواعظ بذكر الخطط والآثار** ، دار صادر ، بيروت ، ج 1 ، ص 350 .

3– علي حسن الخربوطي : **أبو عبيد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية** ، المطبعة الفنية الحديثة ، 1972 م ، ص 59 .

4– بن حماد أبي عبد الله محمد ابن علي ابن حماد (ت 628 ه) : **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم** ، تحقيق : التهامي نقرة و عبد الحليم عويس ، دار الصحوة ، القاهرة – مصر ، ص 35 .

5 – **سلمية** : بلدة في ناحية البرية من أعمال حماه بالشام تقع شمال شرق حمص على مسافة 55 كلم و قد اتخذها أئمة الإسماعيلية مركزا لنشر دعوتهم الى كافة الأقطار الإسلامية ، ينظر ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ص 240 .

260 ه ،وصل إلى مصر في زي التجار وهو يطلب الإمارة أو الخلافة سنة 289 ه . والطلب عليه من بني العباس حثيث و الكتب تنفذ إلى سائر الأمصار ،وعامة الأقطار ،باسمه وصفته وزيه وهيئته ، وبأن يقبض عليه متى عرف ، وأن يثقف متى ثقف ، فلم يزل بكل بلد تذكى عليه العيون ، وتظن بأشياعه الظنون ، ويخلص من أيدي الحكام ، وولاة الأحكام ، خلاص الأمن من نسج المرام إلى أن وصل إلى سجلماسة إما بعلم سبق ، و إما بشيء اتفق " [1].

ظل عبيد الله في بداية الأمر طليقا في سجلماسة بسبب إغداقه الأموال على واليها اليسع بن مدرار غير أن معاملة وَالِي سجلماسة لعبيد الله المهدي ما لبث أن تبدلت بعد انتصار أبي عبيد الله الشيعي على الأغالبة سنة 296 ه إذ خشي مما سوف تتطور إليه الحال بعد ذلك ، فقبض على عبيد الله المهدي وزجه هو و أتباعه في السجن [2].

كان أبو عبد الله إذ ذاك يمد نفوذه على معظم أرجاء المغرب عن طريق الحرب و الفتح، فدخل رقادة مقر إمارة الأغالبة، وحذف اسم الخليفة العباسي من الخطبة ثم سار في قوة كبيرة إلى سجلماسة لإطلاق عبيد الله من سجنه ولما علم اليسع بن مدرار أمير سجلماسة بوصول أبي عبد الله الشيعي إليها ، هرب ليلا وخلا الجو لأبي عبد الله فأطلق داعي الفاطميين سراح عبيد الله المهدي وابنه أبي القاسم [3].

2- أبو عبد الله الشيعي وقيام الدولة الفاطمية:

أخذت البيعة لعبيد الله المهدي بسجلماسة ، وتلا ذلك تقليد عبد الله الشيعي سيفا ومنحه خلعة للدلالة على مكانته ، وأخذ أبو عبد الله الشيعي يقدم إلى عبيد الله المهدي أشياعه وأنصاره ثلاثة أيام كاملة ، ثم رحل عبيد الله عن سجلماسة ، بعد أن أقام بها أربعين يوما ، قاصدا إفريقية في حفل كبير من العساكر وكان أبو عبد الله الشيعي ورؤساء كتامة مشاة بين يديه و ولده خلفه فلما اقترب من رقادة تَلَقّاهُ أهلها و أهل القيروان بالترحاب ثم نزل بقصر من قصور رقادة واتخذها حاضرة له في شهر ربيع الآخر سنة 297 ه ،وأمر بذكر اسمه في الخطبة على منابر البلاد وتلقب بالمهدي أمير المؤمنين [4].

1- أبي العباس شمس الدين أحمد ابن محمد ابن أبي بكر ابن خلكان : **وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان** ، حققه إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1978 م ، ج 1 ، ص 282 .

2- عبد الله محمد جمال الدين : المرجع السابق ، ص 26.

3- المقريزي : المصدر السابق ، ص 87 – 90.

4- المقريزي : نفسه ، ص 92 .

بعد استقرار دعائم الدولة الفاطمية وتثبيت أركانها مبدئيا برزت خلافات داخلية كان لها أثر بالغ في مسارها السياسي.فقد سعى عبيد الله المهدي إلى إِحكام قبضته على الحكم والتخلص من أبي عبد الله الشيعي الذي كان من أبرز الدعاة وممهد الطريق لقيام الدولة.وقد انتهى الأمر بالقضاء عليه وعلى أخيه أبي العباس في مشهد مثل تحولا حاسما أظهر انتقال السلطة من مرحلة الدعوة إلى مرحلة الحكم المطلق لعبيد الله المهدي[1].

– المبحث الثاني: تأسيس مدينة المهدية

يعد تأسيس مدينة المهدية حدثا محوريا في تاريخ المغرب الإسلامي إذ ارتبط بمرحلة انتقال الدعوة الفاطمية من طورها السياسي الدعوي إلى طورها السياسي والعمراني. وقبل التطرق إلى تفاصيل هذا التأسيس من المهم إبراز الدوافع التي جعلت عبيد الله يختار موقعها ويشيدها، وما ارتبط بذلك من أحداث سبقت ميلاد هذه الحاضرة الجديدة، التي ستغدو لاحقا مركز إِشعاع سياسي وعسكري وحضاري في المنطقة.

– أولا: دوافع تأسيس مدينة المهدية و أهم الأحداث قبيل ذلك:

مدينة المهدية قبل هذه التسمية التي سماها لها نسبة له كانت تسمى جَمّة وجزيرة القار [2] ، تقع بين سوسة و صفاقس على الساحل ، بناها المهدي فكان ابتداؤه فيها سنة (300 ه / 912 م) و انتقل إليها سنة (308 ه / 920 م)[3]، كان هناك عدة دوافع لتأسيس مدينة المهدية شأنها شأن العديد من المدن الإسلامية الأخرى منها:

1– الدوافع السياسية:

بعد وصول الخليفة عبيد الله المهدي إلى المغرب وتسلمه زمام الأمور بدأت تظهر الأهداف السياسية للدولة الفاطمية إذ أنه سرعان ما سعى للتخلص من الداعية أبي عبد الله الشيعي حفاظا على سلطانه ، و هذا ما استطاع تحقيقه و لكن هذا خلق له عداوة مع قبيلة كتامة و الذين كانوا سندا للدعوة الفاطمية منذ بدايتها على يد أبي عبد الله الشيعي[4]. وبهذا فَقَدَ أحد الحلفاء المهمين ، و لكن هذا لم يشكل عائقا له بل زاد من عزيمته و اعتمد على كبار الموظَفين الأغالبة الذين دخلوا في طاعته ، إضافة إلى من استمر في ولائه و إخلاصه للفاطميين و ذلك ليزيد في توسيع سلطانه في المغرب و في محاولته القضاء عل دويلة الأدارسة و عاصمتُها فاس ،و إخماد ما وقع من ثورات ضده[5] . ثم بعد ذلك استقر الوضع للخليفة الفاطمي نسبيا فحاول

1– علي بن حماد: أخبار بني عبيد وسيرهم، ص ص 43 –44.

2– بن حماد أبي عبد الله محمد بن علي حماد : المصدر السابق ، ص 41 .

3 – أبو عبيد البكري : **المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب** ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ص 28.

4– علي حسن الخربوطي : المرجع السابق ، ص 52 .

إيجاد حاضرة لدولته بعيدة عن أعدائه في محاولته الابتعاد عن مدينة رقادة باعتبارها مقرا للأغالبة [1]. ولقد أكد ابن عذارى هذا في قوله : " خرج عبيد الله من مدينة رقادة إلى تونس و قرطاجنة و نواحي البحر ، يرتاد موضعا يتخذه دار مملكته ..."[2].

كما أنه ابتعد عن مدينة القيروان و لم تكن عاصمة لدولته كونها غير منيعة بالقدر الكافي، و من السهل اقتحامها و الاستيلاء عليها [3]. و لقد كان جليا سعي عُبَيد الله المهدي و من بعده السيطرة على كامل أرض المغرب الإسلامي بل و تعدى هذا إلى الرغبة في السيطرة على كافة العالم الإسلامي خاصة و أنهم يرون أنفسهم أصحاب الشرعية في إمامة العالم الإسلامي و أحقيتهم عن العباسيين في ذلك[4].

و بوجود الثورات و التمردات الداخلية و القريبة من العاصمة رقادة فإنه لا يمكن تحقيق هذا الهدف و المسعى السياسي و حتى القيروان كعاصمة فإن حصل فيها تمرد سيحول ذلك بينهم و بين تحقيق هذا الهدف[5] . لقد أراد أبو عبيد الله المهدي بناء عاصمة جديدة تكون بمنآى عن التمردات و الثورات الداخلية التي تهدد بخلعه و إنّ هذا ما يؤكده البكري بقوله : " كان سبب بنيان عبيد الله المهدي للمهدية قيام أبي عبد الله وجماعة كتامة عليه وما حاولوه من خلعه " [6] . ومما سبق نستخلص أن الخليفة عبيد الله المهدي أراد الابتعاد عن أعدائه ببنائه لمدينة المهدية و التركيز على هدفه الأساسي و هو السيطرة على العالم الإسلامي ككل.

2- الدوافع الدينية:

مرت الدعوة الفاطمية في بلاد المغرب بعدة مراحل و الدارس لها يلاحظ حجم الصراع المرافق لنشر هذا المذهب متمثلا في المذهب الإسماعيلي، إذ أن المذهب السائد في تلك المناطق هو المذهب المالكي مما سبب ذلك التنازع و الذي اتخذ عدة أشكال [7].

---

1 - ابن عذارى: المصدر السابق، ص 81. ينظر الحميري أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم : **الروض المعطار في خبر الأقطار** ، مكتبة لبنان ، تحقيق : إحسان عباس ، ط 2 ، بيروت ، 1984 م ، ص 561 . ينظر أيضا المقريزي : المصدر السابق ، م 1 ، ص 183 .

2- سعد زغلول عبد الحميد: **تاريخ المغرب العربي**، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1979 م، م 3، ص 92.

3- ابن عذارى: المصدر السابق، ص 71.

4- منى حسن محمود: **دراسات في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس**، دار الثقافة العربية، القاهرة، 2003 م، ص 104.

5- منى حسن محمود: المرجع السابق، ص105.

6-القاضي النعمان: المصدر السابق ، ص 320

7- أبو عبيد الله بن عبد العزيز: **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د. ت ، ص 30

هذا الصراع المذهبي كان أمرا طبيعيا نظرا للاختلافات خصوصا من الناحية الفقهية [1].
وعدم تقبل أهل مدينة القيروان للمذهب الإسماعيلي أنها كانت مالكية المذهب فلن تصلح لأن تكون منطلقا لنشر الدعوة الفاطمية ممثلة بالمذهب الإسماعيلي [2].
كما أن انتشار الخوارج في تلك المناطق و اختلافهم مع المذهب الإسماعيلي زاد من تعقيد الأمور [3].
و مما سبق نخلص إلى أن عبيد الله المهدي كان عليه أن يجد منطلقا آمنا لانطلاق دعوته ونشرها و الحفاظ عليها و بناء مدينة تكون حكرا للمذهب الإسماعيلي دون منافسة أي مذهب آخر له ، فإن وجود أنصار كل من المذهب المالكي ووجود الخوارج و صراعهم مع أنصار المذهب الإسماعيلي دفع عبيد الله المهدي إلى الشروع في بناء مدينة المهدية بدافع مذهبي ديني .

3- الدوافع الاقتصادية:

لقد شهد المغرب الكبير باختلاف عصوره و خاصة الإسلامية منها نهضة عمرانية كبيرة ارتكزت على الازدهار الاقتصادي و ذلك بسبب نمو في الثروات، وتجلى ذلك بوضوح خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين [4].
منذ بداية وصول الخلفاء الفاطميين إلى حكم بلاد المغرب أدركوا أهمية النشاط التجاري من خلال الموقع التجاري المهم لهذه البلاد ، فسعوا للسيطرة على الطرق التجارية الداخلية و الخارجية واحتكروا الثروة بإتباعهم لِسياسة تجارية مكنتهم من تمركزها في أيديهم و كان ثمن هذا الهدف كبيرا ، وهو خوضهم معارك مع قبائل البربر و من يقف وراءهم من أَمَوِيّي الأندلس و ذلك من أجل السيطرة على الطرق التجارية خاصة طريق الذهب القادم من بلاد السودان[5].
هذا الإلمام بالأهمية التجارية لبلاد المغرب من قبل الفاطميين و اتّباعهم سياسية مالية أثقلت كاهل سكان بلاد المغرب و أدت إلى نشوب ثورات في معظم المناطق من بلاد المغرب ، و رغم هذا إلا

8- عبد العزيز المجدوب : **الصراع المذهبي بأفريقية** ، دار سحنون ، تونس ، 2008 م ، ص 187
1- محمد أمين : **فجر الإسلام**، دار الكتاب العربي، بيروت، 1969 م، ص 266.
2- سعد زغلول: المرجع السابق، ص 3-93.
3- أيمن فؤاد السيد: **الدولة الفاطمية تفسير جديد**، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 2007 م، ص 123.
4 - محمود اسماعيل عبد الرزاق: **سوسيولوجيا الفكر الإسلامي** ،مكتبة مدبولي ،القاهرة 1991 م، ص 76.
5- فتحي زغروت : **العلاقات بين الأمويين و الفاطميين** ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة ، 2006 م ، ص 170.

أنها آتت أُكلها عندما زادت من الأموال بأيديهم ،فكان لزوما على أبي عبيد الله المهدي من مقر جديد لدولته ممثلا في مدينة المهدية حتى يمكنه من الحفاظ على تلك الثروة الكبيرة و يستطيع العمل على استمرار هذه السياسة الاقتصادية [1].

هذه الثروة و الأموال بقربها من الأعداء أصبحت في خطر و هي ماجعلت الخليفة عُبيد الله المهدي مسيطِرا على الوضع الاقتصادي و هذا ما دفعه لبناء مدينة المهدية للحفاظ عليها حتى كانت الغنائم مصدرا مهما من مصادر بيت المال في مدينة المهدية [2].

و مما نخلص إليه من الدافع الاقتصادي أن الخليفة عبيد الله المهدي أراد الحفاظ على الثروات التي حصل عليها و التي باتت في خطر لذلك بنا مدينته الجديدة و أصبحت مركزا تجاريا مهما.

4- الدوافع الجغرافية والعسكرية :

إن أهمية التحصين و الأمان لنشأة أي مدينة هو ما اتفق عليه جل المختصين الذين اهتموا بالمدن و نشأتها، خاصة القدماء منهم وجعلوه شرطا أساسيا لتأسيس أو نشأة أي مدينة [3].

و اختيار أبي عُبيد الله المهدي لمدينة المهدية كعاصمة للفاطميين لمكانها الحصين الآمن فهي على شكل كف متصلة بيد و لقد كانت مدينة شديدة التحصين [4].

و يُنسب إلى المهدي قوله عنها بعد مشاهدته لها :" آمنت اليوم على الفواطم"[5]. و هذا ما يؤكد أن الأمان يأتي من خلال الموقع الجغرافي المحصن و هو أساس لبناء المدن.

شعور الخليفة أبي عُبيد الله المهدي بالخطر المتمثل في إحاطة أعدائه الكتاميين و أنصار المذهب المالكي به في مدينة القيروان و تصميمه الابتعاد عنهم دفعه إلى بناء عاصمة جديدة لحكمه على أن يتوفر فيها الأمان وتكون حصنا منيعا يحميه عندما يتعرض لأي عدوان من أي جهةٍ كانت خاصة إذا تغير هوى رعاياه [6]. و عند دراسة الدوافع العسكرية و الجغرافية يظهر لنا موقع مدينة المهدية و

1- منى حسن محمود: المرجع السابق، ص 114.

2- عبد المنعم محمد صادق: **في تاريخ المغرب الإسلامي دراسة للحياة السياسية و الاقتصادية بإفريقية** 261-365 ه، دار الفكر العربي، القاهرة، 2014 م، ص 88-89.

3- ابن حوقل النصيبي أبي القاسم : **صورة الأرض** ، مكتبة الحياة ، بيروت ،1979 ص 73 .

4 - عبد الحكيم عفيفي : **موسوعة 100 مدينة إسلامية** ، الطبعة 1 ، أوراق شرقية للطباعة والنشر و التوزيع ، بيروت – لبنان ، 2000 م ، ص 472 -473 .

5- ابن خلدون عبد الرحمان: المصدر السابق، ص 620.

ما يميزه جغرافيا وعسكريا، موقعها الساحلي وواجهتها البحرية [1]. و التي ميزتها عن باقي المدن العربية الإسلامية مما زادها حصانة وأمنا، كما أن اتصالها باليابسة ودخولها البحر فهي شبه جزيرة تحيط بها المياه من ثلاث جهات أضاف لها ميزة في الموقع وحصانة [2]. و ربما خير دليل على هذا تعرضها للحصار الشديد لمدة عام ونصف منذ (333 ه / 944 م)[3]. و لكنها صمدت و هزمت أعدائها ، كما أنها صمدت أمام الثورات التي حصلت و هددت كيان الدولة الفاطمية و التي كان منها ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي الإباضي الذي رفض الدعوة الفاطمية و أن هذه الثورة كادت تنهي الوجود الفاطمي لولا أنها مدينة منيعة بأسوارها و موقعها [4]. و تلخيصا لما سبق فإن ما دفع الخليفة أبي عُبيد الله المهدي هو الابتعاد عن أعدائه، فاختار مدينة محصنة و منيعة ذات موقع جغرافي مهم خاصة و أنها عبارة عن شبه جزيرة.

5- الدوافع الشخصية و الاجتماعية :

تتركز الدوافع الشخصية لبناء مدينة المهدية حول الجانب الذاتي للخليفة أبي عُبيد الله المهدي و مما دل على هذا ما كان يقوم به من اهتمام مفرط أثناء بناء المدينة فقد أشرف على البناء بنفسه ، و يأمر الصناع بما يريد و ما يصنعون [5]، إضافة إلى تسميتها باسم الخليفة نفسه أي أن اسمها اشتُق من اسم المهدي إذا سلّمنا بما ذهب إليه ابن عذارى [6] ، و التيجاني [7] ، حول التسمية و هذا بهدف تخليد اسمه إذ أن الإنسان بطبيعته يحب التفاخر و التباهي بكل ما يصنع أو ما يقوم بإنشائه .

6- الحموي، المصدر السابق، ص 231، ابن الأثير: المصدر السابق، م 6، ص 151، ابن خلدون المصدر السابق، ج 4، ص 38.

1 - ابن الخطيب لسان الدين : **أعمال الأعلام – تاريخ المغرب العربي** ، تحقيق : أحمد مختار العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1964 م ،ص ص 3-46.

2- القزويني زكريا بن محمد بن محمود : **آثار البلاد و أخبار العباد** ، دار صادر ، بيروت ، ج 1 ، ص 489 .

3- عبد الحكيم عفيفي: المرجع السابق، ص 473.

4-البكري : المصدر السابق ، ص 30 ، ينظر الحميري : المصدر السابق ، ص 561 .

5- القزويني زكريا بن محمد بن محمود : **آثار البلاد و أخبار العباد** ، دار صادر ، بيروت ، ج 1 ، ص 489

6- التجاني أبو محمد عبد الله بن محمد : **رحلة التجاني** ، تحقيق حسن عبد الوهاب ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، طرابلس ،1980 ، ص 321 .

7-ابن عذارى: المصدر السابق، ص 128.

أما من الناحية الاجتماعية فقد جعل الخليفة أبي عُبيد الله المهدي من مدينة المهدية حصنا أمينا لأسرته الحاكمة [1] ، و أتباعه المخلصين ، فضلا عن قُوَادِه المقربين و قام ببناء مدينة صغيرة قرب مدينة المهدية بمسافة قصيرة و أطلق عليها اسم زويلة [2] ، و خصصها للعامة [3].

و مما سبق نستنتج أن عملية الفصل التي قام بها الخليفة أبي عُبيد الله المهدي بين أُسرته وخَاصته والعامة ما هي إلا دليل على رغبته في الأمان لمدينته و إبعاد الغرباء عنها خوفا من أي تمرد إضافة إلى حرصه الكبير على أسرته ، كما أن اهتمامه ببناء المدينة و إشرافه عليها بنفسه و تسميتها اشتقاقا من اسمه ما هو إلا دافع شخصي و توطين لأهله وخاصته بالمدينة فقط دون العامة دافع اجتماعي .

ثانيا : بناء مدينة المهدية:

كان إنشاء مدينة المهدية يندرج ضمن إطار ظاهرة سادت أغلب الدول الناشئة في العصور القديمة والوسطى ، فقد كانت تقوم الدولة الناشئة بإنشاء مدينة جديدة تتخذها عاصمة لها ، و نذكر في هذا الخصوص مثال عن هذا إنشاء إمبراطور الدولة الرومانية الشرقية قسطنطين مدينة القسطنطينية بعيدا عن شعب السّانتو بأثينا واتجه نحو الشرق و في العصر الإسلامي أُنشأت بغداد عاصمة للدولة العباسية و القطائع عاصمة للدولة الطولونية و يعتبر إنشاء مدينة المهدية أول وأضخم عمل قامت به الدولة الفاطمية بإفريقية ، إذ سار الإمام عُبيد الله المهدي على نفس هذا النهج وبدأ في التفكير وبناء عاصمة لدولته [4].

ولقد كانت الأحداث التي وقعت في المغرب بصفة عامة هي ما دفعت أبي عُبيد الله المهدي لتوطين حكمه في مكان آمن و قوله :" اليوم آمنت على الفاطميات" أكبر دليل على الهدف الحقيقي من تأسيس هذه المدينة [5].

1- اختيار موقع المدينة:

1-الحموي: المصدر السابق، ج 5، ص 231.

2-نفسه ، ج 5 ، ص 231 ، ينظر التجاني: المصدر السابق، ص 324 .

3-الحموي: المصدر السابق، ج 3، ص 60 .

4- محمد عبد الستار عثمان: **العمارة الفاطمية (الحربية – المدنية – الدينية)**، دار القاهرة ، ط 1، القاهرة ، 2006 م، ص ص 12-13.

5-إبن الأثير: المصدر السابق ، ص 476

يذكر المقريزي أن عبيد الله المهدي خرج بنفسه يرتاد موضعا في ساحل البحر يتخذ فيه مدينة و كان يجد في الكتب خروج أبو يزيد النكاري على دولته فلم يجد موضعا أحسن و لا أحصن من موضع المهدية و هي جزيرة متصلة بالبر كهيئة الكف فبناها و جعلها كدارٍ لملكه [1] . و قول المقريزي هذا يدل على أن الإمام عبيد الله قام بنفسه بهذا العمل و هو أمر يكشف مدى حرصه على أن يقوم بنفسه بهذا العمل ولم يعتمد على أعوانه أو المختصين من رجاله بذلك كما فعل غيره من الخلفاء ، وهو ما يعكس حِرصَهُ على تأمين ذريته و أتباعه في هذه الفترة المبكرة من تاريخ دولته الفاطمية الشيعية التي نشأت في قلب الامتداد السني [2].

لقد اختار الخليفة الفاطمي موقع عاصمته وفق تحصينات طبيعة إذ أن تداخل المدينة بالبحر على هيئة شبه جزيرة قد يمنحها هذا التحصين كما يتميز موقع مدينة المهدية بمزايا أخرى فهي محاطة بالمياه من ثلاث جهات إضافة لاتصالها باليابسة من الجانب الغربي عبر ممر ضيق ، وهي قريبة من عدة مدن ، تقع بين سوسة وصفاقس على الساحل [3] ، و تبعد عن مدينة القيروان بحوالي 100 كلم إلى الجنوب [4].

و لقد كان لموقع المدينة أهمية بارزة في التاريخ القديم إذ تعاقبت عليه حقبتين : الفينيقية و الرومانية ، ففي الأولى أظهر الموقع أنه أحد المراسي التجارية الفينيقية على ساحل بحر الروم ،كما تدل البقايا الأثرية الغارقة والتي عثر عليها في موقع المدينة على وجود بقايا لمراكب ترجع الى الحقبة الرومانية [5].

وإن اختيار موقع مدينة المهدية يدخل ضمن الدافع الأمني لبنائها من الأساس وكما ذكرنا سابقا أن المواصفات الأمنية للموقع المختار كان يرجع لاعتبارات مختلفة فقد كان تصادم الفاطميين و أهل المغرب أكثر من مجرد خلاف سياسي ، فهذه المنطقة منذ الفتح الإسلامي سادها مذهب و عقيدة مخالفة للفاطميين ، حتى أن دولة الأغالبة التي أسقطها الفاطميون في إفريقية كانت سنية

1- المقريزي : المصدر السابق ، ص 70 ، ينظر ، التيجاني : **رحلة التيجاني تونس طرابلس** 706 ه-708 ه ، تقديم حسن حسني عبد الوهاب ، نشر الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس ، 1981 م ، ص ص 320 – 321 .

2- محمد عبد الستار عثمان: المرجع السابق، ص 13.

3-أبو عبيد البكري: المصدر السابق ، ص 28 .

4- عبد الحكيم عفيفي: المرجع السابق، ص 473.

5- غفران محمد عزيز : **مدينة المهدية** ، رسالة ماجيستير ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة ، 2010 م ، ص 24 .

المذهب و امتداد هذه الفترة المذهبية تجذرت منذ الفتح ، هذا التجذر المذهبي قد طَبَع المنطقة بطابع عقدي يصعب تغييره ولعل هذا يفسر بقاء بلاد المغرب على سُنيتها رغم سيطرة الفاطميين ، فقد فسر بعض المؤرخين أن بناء المهدية راجع إلى اكتشاف المهدي لعدم استعداد الناس في إفريقية لقبول فكرة الخلافة بالمفهوم والمبدأ الشيعي الإسماعيلي و كما صاغها دُعاتهم ومُفكروهم أثناء مرحلة الاستئثار [1].

اختيار أبي عُبيد الله المهدي لموقع مدينة المهدية سيمكن الفاطميين من بناء مؤسسة جديدة خالصة لهم و يوافق رغبتهم في الحفاظ على السلطة والابتعاد عن المناوئين لهم من أهل السنة هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن موقعها البحري يمكن الفاطميين من التصدي لهجمات البيزنطيين الذين كانوا يغيرون على سواحل المغرب انطلاقا من جنوب إيطاليا وصقلية وتتيح لهم بسط السيطرة على الحوض الغربي للمتوسط ومد النفوذ على كامل صقلية والحد من دور الأمويين في الأندلس في صراعهم مع البيزنطيين [2].

(انظر الملحق رقم 01)[3].

2- تاريخ تأسيس المدينة:

اختلفت المصادر التاريخية في تحديد تاريخ دقيق لبناء مدينة المهدية ، فبينما يذهب بعض المؤرخين إلى أن تأسيسها كان في ذي القعدة سنة 303 ه ، يورد البكري أن الشروع في البناء بدأ سنة 300 ه ويقول في ذلك :" وكان ابتداؤه بالنظر فيها سنة ثلاثمائة وكمل سورها سنة خمس ، وانتقل إليها سنة ثمان في شوال "[4] ، أما القاضي النعمان فقد ذكر في انتقال المهدي إليها كان في شوال سنة ثمان وثلاثمائة 308 ه ، وعلى الرغم من هذا الاختلاف في الروايات حول تاريخ الشروع في بناء المهدية ، فإن عددا من الباحثين يرجحون سنة 300 ه باعتبارها السنة الأقرب لواقع تأسيس المدينة خاصة وأن هذا التاريخ يتماشى مع تطورات الأوضاع التي أعقبت مقتل الداعي أبي عبد الله الشيعي سنة 298 ه. ويعد هذا الترجيح منطقيا أكثر إذا ما استحضر أن

1-حسين مؤنس: **معالم تاريخ المغرب و الأندلس**، القاهرة، دار الرشاد، 1997 م، ص 146.

2- محمد سهيل دقوش **تاريخ الفاطميين في شمال إفريقية ومصر و بلاد الشام** ، بيروت ،دار النفائس،2007 م ، ص 91

samia wordpress.com

4-البكري أبي عبد الله: **المسالك والممالك** ، تحقيق جمال طلبة ،دار الكتب العلمية ، بيروت ،2003 م ،ج2 ، ص 202

بناء المهدية جاء استجابة لضرورة سياسية وعسكرية تمثلت في تحصين الفاطميين والابتعاد بهم عن تداعيات تلك الأحداث [1].

3-سبب التسمية:

أخذت مدينة المهدية هذا الاسم نسبة إلى مؤسسها الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي (297-322 ه/ 909-934 م) [2]، الذي سعى منذ توليه الحكم إلى إيجاد عاصمة جديدة تكون أكثر أمنا من القيروان التي عانت اضطرابات سياسية ومذهبية متكررة و قد أراد المهدي أن تكون هذه المدينة بمثابة رمزٍ لدعوته الإسماعيلية و مركزا للحكم الفاطمي في المغرب فجعلها تحمل اسمه تخليدا لذاته وتأكيدا لشرعيته الدينية و السياسية ، فلم يكن اختيار التسمية مجرد قرار عابر بل جاء انعكاسا لفكرة المهدي المنتظر التي ارتبطت بالعقيدة الإسماعيلية حيث سعى عبيد الله إلى ربط شخصه بالدعوة المهدوية التي انتشرت في أوساط أتباعه و من ثم فإن تسمية المدينة بالمهدية لم تعكس فقط شخصية المؤسس بل أيضا الرسالة العقائدية و السياسية التي أراد أن يرسخها في وجدان أنصاره و يعلن من خلالها أن هذه المدينة ستظل مركزا للسلطة الفاطمية و مقرا لحماية دعوتهم [3].

4-إنشاء مدينة المهدية:

بعد أن حدد عبيد الله المهدي الموضع الذي ستقام عليه عاصمة الخلافة الفاطمية بالمغرب لجأ إلى استشارة المنجمين عند وضع حجر أساس المدينة ، رغبة في اختيار طالع سعيد يضمن البركة و النجاح و يعود هذا التقليد إلى حضارات قديمة ، فقد مارسه البابليون لمعرفة إرادة الآلهة ، ثم انتقل إلى اليونان قبل القرن الرابع قبل الميلاد ومنها انتشر الى أمم أخرى ، ومن الأمثلة البارزة على ذلك ما قام به إسكندر الأكبر عند تأسيس مدينة الإسكندرية بمصر ، حيث استعان بالمنجمين لتحديد الطالع المناسب وقد وجد هذا التقليد صداه أيضا في الحضارة الإسلامية إذ يظهر جليا فيما

5-غفران عزيز: المرجع السابق، ص 37.

5- المقريزي : المصدر السابق ، ص 162 ، ينظر ابن خلدون : المصدر السابق ، ص 151 .

2- حسن إبراهيم: **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي** ج 3، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1957، ص 50.

أقدم عليه الخليفة العباسي المنصور عند إنشاء بغداد ، حين استشار الفلكي نوبخت لتحديد الوقت الأمثل لوضع أساس المدينة ، وعلى النسق ذاته سار عبيد الله المهدي إلى اختبار طالع برج الأسد عند تأسيس مدينة المهدية وهو ما يفسر النقوش التي زخرفت على أبوابها حيث اتخذ شكل الأسد رمزا للحماية والقوة [1].

إضافة إلى امتلاك عبيد الله المهدي إلماما بعلم النجوم فاختياره أن يضع أساس مدينة المهدية تحت طالع برج الأسد لما يحمله هذا البرج من دلالات الثبات و الاستقرار و لارتباطه بالرمزية السلطانية المتمثلة في القوة و الهيبة و لأن برج الأسد بين برج الشمس الذي هو دليل الملوك فكان الملك فيها و عاد بعد استيطانه القيروان إليها ويقول أحد الشعراء و هو أبو عبيد الله بن حبوس الفاسي في وضع الإمام الأول عبيد الله المهدي للمدينة ببرج الأسد :

بطالع الأسد اختط البناء بها * لكن الأسد الدامي الأظافير

وبنى بها قصره المعروف به وبنى قصرا لابنه أبي القاسم وبنى دار الصناعة ، وأمر بهدم وطمس معالمها ، ومحو آثارها ورسومها ، وجعل للمهدية أبراجا من جهة البر وهي الجهة الغربية وليس البر منها إلا من هذه الجهة ، وجعل لها بابين من حديد صرف ، وفي ذلك يقول ابن حبوس :

باب حديد وأبراج ثمانية * تسخر العقل في أي تسخير

ورمى عبيد الله بسهم من الباب إلى موضع المصلى و قال إلى هاهنا يبلغ صاحب الحمار يعني أبا يزيد مخلد بن كيداد الإباضي الخارج عليهم في أيام أبي القاسم القائم [2].

بذل المهدي الكثير من المال و الجهد في تحصينها بأبواب حديدية سميكة عالية وسورها بسور قوي مرتفع من الحجر تحيطه الأبراج والبوابات الثقيلة وبنى فيها صوامع كبيرة تسع الأطنان والغلال ، وعاشت المهدية أرقى ازدهار في العهد الفاطمي حيث كان فيها أفخر المساجد و

3-Creswell.K.A.C. The Muslim; **architecture of Egypt**. hacker bonk New York 1978 . VI.P.4

1- بن حماد أبي عبد الله محمد بن علي حماد : المصدر السابق ، ص 41 .

المباني ، وكان فيها أكثر من ستين صهريجا للمياه و العديد من الأسواق و المتاجر و الحدائق و الحمامات [1].

ومما سبق يمكن القول أن نشأة الدولة الفاطمية بالمغرب لم تكن وليدة ظرف عابر، بل جاءت نتيجة تفاعل عوامل فكرية وعقائدية وسياسية واجتماعية مهدت لظهورها. فقد أسهمت مرحلة الدعوة بما رافقها من تنظيم سري وعلني في إعداد الأرضية لتأسيس الدولة، كما كان لعبيد الله المهدي دور محوري في تحويل الفكرة الى واقع سياسي تجسد في اختيار المهدية لتكون عاصمته ومركز انطلاق مشروعه. وهكذا برزت المهدية لتكون عاصمته ومركز انطلاق مشروعه. وهكذا بعد عمل استراتيجي وسياسي ارتبط تاريخها بنشأة الدولة الفاطمية وتطورها في بلاد المغرب.

– ملخص الفصل الأول :

يتناول هذا الفصل نشأة الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي حيث انطلقت دعوتها في مرحلة سرية على يد دعاتها الذين تمكنوا من استمالة قبائل كتامة ، مما هيأ الظروف لقدوم عبيد الله المهدي وإعلانه قيام الخلافة الفاطمية سنة 297 ه / 910 م بعد القضاء على الأغالبة ، ليؤسس بذلك أول دعوة شيعية إسماعيلية في المنطقة ، وقد برز المهدي كمؤسس حقيقي للدولة الفاطمية من خلال نقله الدعوة من الطابع السري إلى كيان سياسي منظم ، ووضعه الأسس العسكرية والإدارية التي رسخت حكم الفاطميين ،غير أن استقرار الدولة تطلب إنشاء عاصمة جديدة فاختار المهدي موضعا إستراتيجيا على ساحل إفريقية لتأسيس مدينة المهدية ،التي تحصنت بأسوار قوية و أبراج دفاعية مكنتها من مواجهة الأخطار الداخلية والخارجية ،خاصة تهديدات العباسيين والقرصنة البحرية كما ارتبط تأسيسها بدوافع سياسية لضمان استقلال السلطة الفاطمية عبر مراكز النفوذ السابقة ،واقتصادية لفتح آفاق المبادلات عبر البحر الغربي وأمنية لاستخلاص الحكم للفاطميين ، فغدت المهدية مركزا عسكريا وتجاريا مزدهرا وعاصمة متكاملة جسدت الدور التاريخي والحضاري للخلافة الفاطمية في العصر الوسيط.

1- عبد الحكيم عفيفي: المرجع السابق ، ص ص 472 - 473 .

الفصل الثاني:

الدور التاريخي لمدينة المهدية

المبحث الأول: التغيرات السياسية بالمغرب الإسلامي في ظل الحكم الفاطمي

المبحث الثاني:السياسة الخارجية للدولة الفاطمية

تمهيد:

يشكل الفصل الثاني من هذه الدراسة لحظةَ محوريّة في تأسيس المهدية ، عاصمة الدولة الفاطمية الأولى (300 هـ–322 هـ / 912–934 م)، كمركز سياسي يعبّر عن التحول الإستراتيجي في البنية السياسية لبلاد المغرب الإسلامي. ففي هذه الحقبة، ابتدأت الدولة الفاطمية تموضعها السياسي في مواجهة التحديات المذهبية والعسكرية والدبلوماسية ، فكان التوسع نحو الغرب من المغرب الأوسط نحو سوسة ،ثم علاقاتها المزدوجة مع القوى المجاورة خاصة الأمويين في الأندلس والبيزنطيين في بحر الروم محورية في بلورة حدودها وتأثيرها الإقليمي.

وفي ظل هذه المعطيات ، احتلت مدينة المهدية موقعًا محوريًا كمقر مركزي للدولة الفاطمية ، ليس باعتبارها عاصمة إدارية وحمائية وحسب ، بل كمركز دبلوماسي يعكس عمق الحكم الفاطمي، وإستراتيجيته في تثبيت وجوده بعيداً عن القيروان . سنقوم في هذا الفصل بتحليل جَانِبَي التوسع السياسي والدبلوماسي مما يمهد لفهم أعمق لدور المهدية في تكوين هوية الدولة الفاطمية وحضورها السياسي في المغرب الإسلامي.

المبحث الأول: التغيرات السياسية بالمغرب الإسلامي في ظل الحكم الفاطمي:

بعد تمكن عبيد الله المهدي من تثبيت أركان سلطته واتخاذ المهدية مركزا لحكمه اتجهت أنظار الفاطميين نحو بسط نفوذهم خارج حدود العاصمة الجديدة. فقد كان توطيد الحكم الداخلي خطوة أولى تلتها مرحلة توسعية هدفت إلى إخضاع القبائل والمناطق المجاورة ،وضمان موارد اقتصادية وبشرية تعزز من قوة الدولة الناشئة . ومن هذا المنطلق شكلت سياسة التوسع في بلاد المغرب إحدى الركائز الأساسية التي اعتمدها الفاطميون لترسيخ وجودهم وتأكيد مشروعهم السياسي والديني.

أولا: التوسعات الفاطمية في بلاد المغرب:

شهدت بلاد المغرب الإسلامي مع مطلع القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي تحولات سياسية كبرى تمثلت في صعود الفاطميين كقوة دينية وسياسية جديدة، قادرة على منافسة القوى التقليدية القائمة في المنطقة. فقد انطلقت الدولة الفاطمية من دعوة إسماعيلية سرية قادها دعاتها في ربوع المغرب الأوسط والأقصى ، إلى كيان سياسي واسع مركزه مدينة المهدية. هذه الانطلاقة تطلبت تثبيت النفوذ على الأراضي المغاربية وتوسيع الرقعة الجغرافية بما يضمن للدولة الوليدة الموارد الاقتصادية والبشرية الكافية لمجابهة التحديات الداخلية والخارجية.

بدأ التوسع الفاطمي فعلياً منذ تولي عبيد الله المهدي مقاليد الحكم سنة (297 هـ/ 909 م) ، إذ عمل على إخضاع القبائل والبنى السياسية المحلية في المغرب، خاصة بعد القضاء على دولة الأغالبة التي كانت مسيطرة على إفريقية . فبمجرد دخوله رقاده ،شرع في فرض سلطته السياسية والعسكرية ،وأسس نواة حكمه الجديد. ومع ذلك ،كان استقرار الدولة الفاطمية في بداياته هشّاً ، مما فرض على الخلفاء الأوائل تَبَنِي سياسة تَوَسُعِيَة لحماية وجودهم وتعزيز هيبتهم في المنطقة[1].

1 – الدشراوي محمد: **الخلافة الفاطمية بالمغرب**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص 112.

أولى خطوات التوسع تمثلت في إخضاع مناطق المغرب الأدنى (إفريقية) تأميناً لقاعدتهم المركزية. ثم اتجه الفاطميون إلى المغرب الأوسط ، حيث تمكنوا من إخضاع مناطق واسعة من بلاد الزاب و الجبال ،وصولاً إلى تلمسان. كما سعى الخليفة عبيد الله المهدي وخلفاؤه إلى بسط نفوذهم على المغرب الأقصى لمواجهة بقايا القوى المحلية المتمثلة في الأدارسة الذين كانوا يحظون بقاعدة شعبية بفضل انتمائهم العلوي. وقد نجح الفاطميون في إضعاف سلطة الأدارسة ، خاصة في فاس و محيطها ، رغم المقاومة التي واجهوها[1].

كما عمل الفاطميون للسيطرة على الموانئ والمدن الساحلية ذات الأهمية التجارية، مثل بجاية و سبتة و طنجة ، لما تمثله من مراكز اتصال بحوض البحر الغربي ومنافذ إستراتيجية للتجارة والبحرية. هذا التوسع الساحلي مكّنهم من مواجهة النفوذ الأموي القادم من الأندلس والذي كان يمثل خصماً سياسياً وعقائدياً خطيراً ، خصوصاً في ظل الصراع الإيديولوجي بين السنة والشيعة الإسماعيلية[2].

تميزت السياسة التوسعية الفاطمية بالاعتماد على تحالفات قبلية قوية ، أبرزها مع كتامة ، التي شكّلت الدعامة العسكرية و اللوجيستية للدولة الجديدة. وقد ساعد هذا التحالف على ترسيخ السيطرة في المناطق الداخلية وتثبيت الأمن النسبي ، رغم بعض التمردات القبلية التي حاولت استغلال الظروف المتوترة لفرض استقلاليتها[3].

إن هذه التوسعات لم تكن مجرد تحركات عسكرية بحتة ، بل كانت تحمل بعداً عقائدياً ، حيث اعتبر الفاطميون أنفسهم ممثلين للشرعية الدينية ، وأرادوا نشر دعوتهم الإسماعيلية في ربوع المغرب. كما وفّرت لهم هذه التوسعات قاعدة صلبة لنقل مركز حكمهم

1-ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 220.

2-الشريف عبد العزيز:**تاريخ المغرب الإسلامي** مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1991، ص 165.

3-المقريزي : المصدر السابق ، ج 1، ص 88.

لاحقاً من المهدية إلى القاهرة سنة (362 ه / 973 م) ، وهو ما يؤكد أن توسعهم في المغرب كان خطوة إستراتيجية لتأمين مشروعهم السياسي والحضاري الأكبر[1].

ثانيا: العلاقات السياسية مع الدول المجاورة:

لم يكن التوسع الفاطمي في بلاد المغرب بمعزل عن القوى الإقليمية التي كانت تتقاسم النفوذ في المنطقة خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي. فقد وجد الفاطميون أنفسهم أمام شبكة معقدة من العلاقات السياسية والعسكرية ، مع قوى مغاربية محلية ، ومع القوى الإسلامية المنافسة كالأمويين في الأندلس ومع الإمبراطورية البيزنطية التي كانت تحاول استعادة نفوذها في بعض مناطق البحر الغربي.

1-طبيعة العلاقة مع الأمويين في الأندلس:

أدى ظهور الفاطميين إلى إعادة تشكيل التوازنات في المغرب الإسلامي. فقد ورثوا إرث الأغالبة الذين حكموا إفريقية مدة تزيد عن قرن ، وأصبح عليهم مواجهة بقايا نفوذهم في بعض المدن والقبائل الموالية لهم. كما اصطدموا بالأدارسة في المغرب الأقصى الذين شكلوا عقبة عقائدية وسياسية بسبب انتمائهم العلوي ،الأمر الذي أعطى شرعية لمقاومتهم للنفوذ الفاطمي. وعلى الرغم من محاولات الفاطميين إخضاع الأدارسة ، إلا أنّ الصراع استمر لعقود ، ولم يُحسم إلا بعد تدخل مباشر من جيوش الفاطميين في فاس ومحيطها[2].

كما برزت مقاومة قبلية من صنهاجة وزناتة، اللتين حاول الفاطميون استمالتهما بالتحالف أو قمعهما بالقوة. لكن القبائل الكبرى غالباً ما اتبعت سياسة براغماتية تقوم على الموازنة بين الولاء للفاطميين والاستفادة من دعم الأمويين بالأندلس، مما جعل المغرب الأوسط مسرحاً لتجاذب متواصل بين الطرفين[3].

4-حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص 34.

2-ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 233.

2-الدشراوي محمد :المرجع السابق ، ص 157.

اتسمت العلاقة مع دولة الأمويين في الأندلس بالعداء والصراع على شرعية تمثيل الخلافة الإسلامية وقيادة العالم الإسلامي. فقد اعتبر الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر نفسه منافساً مباشراً للفاطميين ، وسعى لكسب ولاء القبائل في المغرب الأوسط وحتى داخل إفريقية نفسها ، مما أدى إلى منافسة سياسية وعسكرية استنزفت موارد الطرفين[1].

العلاقة بين الفاطميين والأمويين بالتنافس المكثف ؛ دعويًا ، إسلاميًا (بين الشيعة الإسماعيليين والسنة المالكية) ، وسياسيًا وعسكريًا ، ففي حين سعى كل طرف لترسيخ مصطلحات خلافته ، دأب الفاطميون على نشر دعوتهم للإسماعيلية في المغرب وموريتانيا بينما أنشأ الأمويون تحالفات مع قبائل محلية للحد من نفوذ الفاطميين. شكّل الأمويون في الأندلس أخطر خصم سياسي وعقائدي للفاطميين، إذ تزامن صعود الدولة الفاطمية مع إعلان عبد الرحمن الناصر خلافته في الأندلس سنة (316هـ/929م). وبذلك ظهر للعالم الإسلامي خلافَتان متنافستان : فاطمية شيعية في المغرب ، وأموية سنية في الأندلس. هذا الوضع غذّى صراعاً مفتوحاً امتد من حدود الأندلس إلى تخوم المغرب الأقصى ، حيث دعمت كل قوة القبائل والدويلات المحلية المناوئة لمنافستها[2].

حرص الأمويون على بسط نفوذهم في سبتة و طنجة وأجزاء من المغرب الأقصى لمجابهة الفاطميين ، في حين سعى هؤلاء إلى تثبيت سلطتهم على فاس والريف. ولم يقتصر الصراع على المجال البري فحسب، بل امتد إلى بحر الروم ،حيث عمل الأمويون على تقوية أساطيلهم لمنافسة القوة البحرية الفاطمية التي انطلقت من قواعدها في المهدية. وقد تميز هذا الصراع الطويل بسياسة " الحرب الباردة " من خلال التحالفات القبلية والدبلوماسية ،أكثر منه مواجهة عسكرية مباشرة[3].

1-ابن خلدون : المصدر السابق ، ج4 ، ص 40.

2- حسين مؤنس، **معالم تاريخ المغرب والأندلس** ، دار الرشاد ،دون طبعة ، القاهرة ،1997 ، ص 202.

3- السيد عبد العزيز سالم : **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي** مؤسسة شباب الجامعة ،الاسكندرية، 1983، ص 177.

2-العلاقات مع البيزنطيين

على الضفة المقابلة من المتوسط، برزت الإمبراطورية البيزنطية قوة بحرية منافسة للفاطميين، فقد كان البيزنطيون يسعون إلى حماية مصالحهم في صقلية وجنوب إيطاليا، بعد أن فقدوا الكثير من مواقعهم لصالح المسلمين منذ القرن الثالث الهجري. ومنذ تأسيس المهدية، أولى الفاطميون اهتماماً بالغاً بالأسطول البحري، مما جعلهم طرفاً أساسياً في الصراع مع بيزنطة، خاصة حول صقلية وطرق التجارة البحرية[1].

شهدت الفترة بين سنة (912م و948م) عدة مواجهات بحرية بين الأساطيل الفاطمية والبيزنطية. ففي بعض الأحيان، تمكن البيزنطيون من استعادة مدن ساحلية أو شن هجمات على الموانئ الإسلامية، بينما استطاع الفاطميون تحقيق انتصارات مكّنتهم من تثبيت وجودهم في صقلية. وقد ارتبطت هذه المواجهات أحياناً بالتحالفات السياسية بين الأمويين والبيزنطيين ضد الفاطميين ، ما جعل الأخيرين محاصرين بين قوتين متنافستين شرقاً وغرباً[2].

يمكن القول إن العلاقات الفاطمية مع القوى المجاورة في المغرب الإسلامي والأندلس وبيزنطة اتسمت بالصراع المستمر ، وكان لمدينة المهدية دور محوري فيها ، باعتبارها قاعدة إستراتيجية لتسيير العمليات العسكرية والبحرية ، ومركزاً دبلوماسياً لإدارة التحالفات والإتفاقيات ،بسبب موقع المهدية الساحلي المتميز ، أصبحت على تماس مباشر مع النفوذ البيزنطي في البحر الغربي. وقد إتخذت العلاقة مع البيزنطيين طابعاً يجمع بين الصراع العسكري والتفاهم السياسي حيناً آخر. فمن ناحية ، شن الفاطميون الغارات البحرية على السواحل البيزنطية ونشطوا في الجهاد البحري[3]. ومن ناحية أخرى ، كانت هناك فترات من الهدوء وتبادل

1- المقريزي : المصدر السابق ، ج 1، ص 132.

2- حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص 41.

السفراء والمصالح التجارية ، خاصة وأن كلا الطرفين كان منشغلاً بأعداء آخرين (العباسيين للفاطميين ، والسلاجقة للبيزنطيين لاحقاً)[1].

شهدت العلاقات الفاطمية البيزنطية توازنًا بين النزاع الديني والإستراتيجي والدبلوماسي ، إذ تناوبت فترات التوتر (خاصة في صقلية) مع فترات تسويات ، كما أن الحملة البحرية لعبت دورًا رمزيًا في مواجهة القوى المسيحية .

المبحث الثاني: السياسة الخارجية للدولة الفاطمية

بعد تمكن الفاطميين من ترسيخ سلطتهم في بلاد المغرب وتثبيت أركان دولتهم بالمهدية، برزت الحاجة إلى رسم سياسة خارجية تضمن حماية مصالحهم وتعزز من مكانتهم بين القوى الإقليمية المحيطة. فلقد أدركوا أن استقرارهم الداخلي لا يكتمل إلا من خلال بناء شبكة من العلاقات والتحالفات السياسية، سواء عبر الاتفاقيات أو من خلال المواجهة والصراع عند الضرورة. وفي هذا الاتجاه سعت الدولة الفاطمية إلى صياغة نهج خارجي متوازن جمع بين التفاوض حينا والمناقشة حينا آخر وهو ما يتجلى في إبراز عناصر سياستها الخارجية.

أولا: الاتفاقيات السياسية مع القوى الإقليمية:

حرص الفاطميون منذ استقرارهم في المهدية على إقامة شبكة من العلاقات السياسية مع القوى الإقليمية المحيطة بهم، بغية تأمين دولتهم الفتية وضمان استمرار توسعاتهم في بلاد المغرب الإسلامي. فقد سعى عبيد الله المهدي (ت 322 هـ/934 م) إلى مد جسور الحوار مع بعض القوى المحلية من قبائل صنهاجة و زناتة ، وذلك عبر عقد اتفاقيات تقوم على أساس الولاء السياسي مقابل منح الامتيازات والاعتراف بمكانتهم الإجتماعية والقبلية[2].

3- ابن الأثير : المصدر السابق ،ج6 ، ص 483.

1- طقوش محمد سهيل : **تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر وبلاد الشام** ، دار النفائس ، بيروت ، د ن ، ص 85.

2- ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص. 156.

كما عمل الفاطميون على إبرام تفاهمات مع بعض الكيانات السياسية الناشئة في المغرب الأقصى ، مثل الأدارسة ، خصوصاً في المراحل التي تزامنت مع ضعف نفوذهم الداخلي ، وذلك لاحتواء الخلافات وتجنب الحروب المباشرة التي قد تستنزف موارد الدولة[1] . ومن ناحية أخرى ، لم يتردد الفاطميون في إبرام هدنة مع الأمويين بالأندلس ، رغم حدة الصراع الإيديولوجي والمذهبي ، إذ كان الهدف تجنب الاصطدام المباشر مع قوة بحرية وتجارية منافسة في غرب المتوسط[2].

وفي سياق آخر ، حاول الفاطميون تطويق الخطر البيزنطي في الحوض الغربي للمتوسط ، وذلك من خلال توقيع اتفاقيات سلمية مرحلية مع بيزنطة تتيح للفاطميين التفرغ لترسيخ سيطرتهم في شمال إفريقيا ، وتجنب الدخول في حرب بحرية طويلة المدى مع قوة بحرية راسخة [3].

اتبعت الدولة الفاطمية سياسة خارجية مرنة وعملية ، تخللتها فترات من المواجهة وأخرى من التفاوض وإبرام الاتفاقيات. ولم تكن هذه السياسة تهدف إلى تحقيق السلام الدائم بقدر ما كانت وسيلة لربح الوقت وتركيز الجهد على جبهة معينة[4]. فعلى سبيل المثال ، وبعد سلسلة من الحملات العسكرية على صقلية ، تم إبرام اتفاقيات هدنة مع البيزنطيين تنظم وتفتح المجال أمام التبادل التجاري أحياناً ،كما سعت الدولة للتحالف مع القبائل البربرية في المغرب الأوسط والأقصى عبر منحهم الاستقلال الذاتي تحت السيادة الفاطمية الاسمية في بعض الأحيان ، مقابل ضمان ولائهم أو على الأقل حيادهم في صراعها مع الأمويين في الأندلس[5].

1- ا المقريزي : المصدر السابق ، ج 1، ص. 114.

2- شفيق غربال : **الموسوعة العربية الميسرة** ،دار النهضة ،القاهرة ،1965 ،ص. 923.

3- طقوش محمد سهيل : المرجع السابق ،ص. 47.

4- العبادي أحمد مختار : **في تاريخ المغرب والأندلس**، ص 247.

5 - نفسه ، ص 248 .

اتجه الفاطميون إلى الموازنة بين الحرب والدبلوماسية لترسيخ وجودهم في حوض المتوسط. فقد تفاوضوا مع البيزنطيين لتفادي المواجهات البحرية المباشرة، وفي الوقت نفسه دافعوا عن مصالحهم في البحر الغربي بكفاءة عبر قوات بحرية فعّالة ثبّتت مكانتهم كقوة إقليمية مؤثرة، كما استخدموا الإستراتيجية التحالفية القبلية، خاصة مع القبائل البربرية (مثل الصنهاجة والزناتة) وذلك لتوسيع نفوذهم والدفع باتجاه تثبيت موقعهم السياسي والديني في المنطقة.

اعتمدت الدولة الفاطمية، منذ نشأتها في المهدية، سياسة خارجية مرنة تقوم على الجمع بين القوة العسكرية والدبلوماسية، وذلك بغرض تثبيت نفوذها في المغرب الإسلامي ومواجهة خصومها الإقليميين. فالتحديات التي واجهتها ، خاصة مع الأمويين في الأندلس والبيزنطيين في البحر الغربي ، فرضت عليها أن تبني أسلوبا للتفاوض وعقد الاتفاقيات السياسية إلى جانب الحملات العسكرية. فقد كانت الاتفاقيات وسيلة للتخفيف من حدة الصراعات ، وتأمين الجبهات ، وضمان استقرار داخلي يمكّن الفاطميين من تعزيز سلطتهم. ومن أبرز هذه الاتفاقيات ما عقدوه مع بعض القبائل المغاربية الكبرى مثل صنهاجة وكتامة ، حيث جرى ترسيخ التحالف عبر الامتيازات الاقتصادية والسياسية. هذا التحالف لم يكن مجرد ولاء قبلي ، بل أصبح جزءاً من الإستراتيجية الفاطمية لضمان الإمداد العسكري وتحصين ظهر الدولة من الهجمات المفاجئة[1].

أما على الصعيد الدولي ، فقد حاول الفاطميون عقد تفاهمات مؤقتة مع الأمويين في الأندلس رغم العداء العقائدي والسياسي. إذ شهدت بعض الفترات تهدئة نسبية ، خاصة حين كان الطرفان منشغلين بمشاكل داخلية أو صراعات مع قوى أخرى ، غير أن هذه الاتفاقيات كانت هشة وسرعان ما تنهار عند أول احتكاك بالمغرب الأقصى أو على السواحل المتوسطية[2].

1- الدشراوي محمد : المرجع السابق ، ص 201.

2- ابن عذاري: المصدر السابق ، ج 1 ، ص 245.

لجأ الفاطميون إلى إبرام اتفاقيات مع البيزنطيين في بعض المراحل ، رغم التوتر البحري المستمر. فقد أدرك الطرفان أهمية التوازن في بحر الروم ، خاصة في فترات تصاعد الخطر النورماني أو اضطراب الأوضاع في صقلية. وكانت بعض هذه الاتفاقيات تتعلق بتبادل الأسرى أو تنظيم التجارة البحرية، مما يعكس وعياً فاطمياً بضرورة استخدام الدبلوماسية إلى جانب السلاح[1].

كما أظهرت الوثائق أن الفاطميين لم يغفلوا عن التواصل مع القوى الإسلامية بالمشرق ، مثل العباسيين ، وإن كان ذلك على نحو محدود وغير مباشر. إذ لم تكن العلاقة بين الفاطميين والعباسيين قائمة على الاتفاقيات بقدر ما كانت على التنافس العقائدي والسياسي ،ومع ذلك حاول الفاطميون في بعض الفترات تجنب المواجهة المباشرة مع بغداد والانشغال أولاً بتوطيد مركزهم في المغرب[2].

تُبرز هذه الاتفاقيات السياسية أن الفاطميين لم يكونوا مجرد قوة عسكرية صِدامية ، بل اعتمدوا سياسة واقعية تقوم على الموازنة بين التحالفات والصراعات ، بما يضمن استمرار دولتهم الناشئة في ظل محيط إقليمي شديد التعقيد. وقد لعبت مدينة المهدية دوراً محورياً في هذا الجانب باعتبارها مقراً لاستقبال الوفود الأجنبية ومركزاً لإعلان المعاهدات التي كان لها أثر مباشر في رسم حدود النفوذ الفاطمي[3].

1- المقريزي : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 139.

2- حسن إبراهيم :المرجع السابق ،ج 3 ،ص 49.

3- الشريف عبد العزيز: المرجع السابق، ص 182.

ثانيا: دور المهدية كمركز سياسي للفاطميين:

لعبت مدينة المهدية منذ تأسيسها سنة (300 هـ/912 م) على يد عبيد الله المهدي دوراً محورياً في السياسة الخارجية للدولة الفاطمية، إذ اتخذها الخلفاء الفاطميون قاعدة إستراتيجية لإدارة شؤونهم الداخلية والخارجية. فالمهدية لم تكن مجرد عاصمة إدارية بل تحولت إلى مركز دبلوماسي حيث توافدت إليها الوفود من مختلف القوى السياسية في البحر المتوسط[1].

ومن الناحية العسكرية وفرت المهدية قاعدة متقدمة للسيطرة على البحر حيث مكّنت موانئها المحصنة الأسطول الفاطمي من مراقبة طرق التجارة البحرية، والتدخل في النزاعات الإقليمية متى اقتضت الضرورة[2] .

كان لمدينة المهدية دوراً حيوياً في استقبال السفراء والرسل الأجانب ، مما جعلها أشبه بمركز دبلوماسي إقليمي يعكس قوة الدولة الفاطمية وهيبتها ، إلى جانب ذلك ، شكلت المهدية واجهة حضارية للفاطميين ، حيث كانت صورة ازدهارها العمراني وتنظيمها الإداري والاقتصادي بمثابة رسالة سياسية إلى القوى الإقليمية ، توحي باستقرار الدولة وقدرتها على مد نفوذها. ومن خلال هذا الدور ، استطاعت المهدية أن تجمع بين كونها عاصمة سياسية ومركزاً إستراتيجياً يوجه دبلوماسية الدولة الفاطمية نحو الداخل والخارج على حد سواء ، مثّلت مدينة المهدية القلب النابض للسياسة الخارجية الفاطمية. فلم تكن مجرد عاصمة إدارية، بل كانت القاعدة البحرية العسكرية الرئيسية التي انطلقت منها الأساطيل الفاطمية لتأديب المتمردين على

1-حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ج 2، ص 345.

2 -Philippe Sénac, **La Méditerranée des Musulmans**, Paris: Armand Colin, 2000, p. 212.

السواحل المغربية، وشن الغارات على السواحل الأوروبية والبيزنطية، وحماية طرق التجارة البحرية[1].

كما كانت المقر الدبلوماسي الذي استقبلت فيه البعثات والسفراء من مختلف أنحاء العالم المعروف، من أوروبا إلى بلاد السودان، مما يعكس المكانة الدولية التي اكتسبتها الدولة الفاطمية[2]. وباختصار جسدت المهدية الوجه البحري والسلطوي للدولة الفاطمية، وكانت الأداة العملية التي من خلالها طبق الفاطميون سياستهم الخارجية الطموحة ووسعوا نطاق نفوذهم في حوض المتوسط.

اتخذ الخليفة أبي عبيد الله المهدي (297-322 هـ / 909-934 م) مدينة المهدية عاصمة جديدة للدولة الفاطمية بدايةً من عام (312 هـ/ 922 م) كإستراتيجية دفاعية وسياسية بعيدة عن النفوذ السني للقيروان كما ذكرنا سابقا حيث شُيّدت المهدية على شبه جزيرة محاطة بالبحر من ثلاثة جهات ، وتضمّن تصميمها حوائط حصينة وقصراً للسلطة ومسجداً جامعًا وميناء اصطناعيًا ،كذلك امتاز موقعها بأنه بعيد عن تعدّد الولاءات المحلية مما أكسبها موقعًا سياسيًا مركزيًا وموثوقًا ، و قد افتُتحت رسميًا في 20 فبراير (312 ه / 922 م) ، واستطاعت هذه المدينة أن تشكل قاعدة انطلاق للفاطميين في مواجهة التحديات الداخلية والخارجية ، بما في ذلك حصار القيروان من قبل ثورات البربر (مثل ثورة أبو يزيد الزناتي في 944-945 م/ 333-334 هـ) ، حيث صمدت المهدية أمام الحصار ونجحت في بقاء الدولة .

1- الحمد عادلة علي: **قيام الدولة الفاطمية ببلاد المغرب**، دار المستقبل، القاهرة، 1980 م، ص 320

2 -الدشراوي محمد : المرجع السابق ، ص 504.

خلاصة الفصل الثاني:

لقد أوضحت في هذا الفصل كيف ترسّخت جذور الدولة الفاطمية في المغرب الإسلامي عبر ديناميكيات سياسية متعددة ، إذ كان التوسع نحو الغرب خطوة نفذها الفاطميون لتحقيق التوازن السياسي ، وتأكيد النفوذ أمام أعداء مثل الدولة الأموية والبيزنطيين ، كما برزت الإستراتيجية الدبلوماسية كعنصر أساسي في مواجهتهم للتحديات إقليمياً.

من جانب آخر تجسّد دور مدينة المهدية كعاصمة جديدة ومحصنة في إطار خطة محكمة لبناء قوة سياسية مستقلة متماسكة ، تتخذ من عمارتها وقلاعها وموانئها دعماً وإشعاعا ، وفضاءً للتصدّي داخلياً وخارجياً ، بعيداً عن دوامة الصراع المذهبي والذي يمثله المذهب السني في القيروان . وبفضل موقعها الجغرافي وسورها ،استمدّت المهدية طابعاً سيادياً ومركزاً مزدوجاً سياسياً واقتصادياً ، عاكساً بالمرآة هدف الفاطميين الشامل وهو إقامة كيان إقليمي قوي تأسّس على سلطة مركزية وعسكرية ودعوية ، بُنيت عبره أولى ملامح الدولة الفاطمية الحقيقة في المغرب الإسلامي.

الفصل الثالث:

الدور الحضاري لمدينة المهدية

المبحث الأول : الحياة الاقتصادية في المهدية

المبحث الثاني: الحياة العلمية والفنية بالمهدية

تمهيد:

تعد مدينة المهدية إحدى الحواضر البارزة في تاريخ المغرب الإسلامي ، فقد تجاوزت وظيفتها كونها حصنا منيعا أو عاصمة سياسية فحسب ، لتغدو مركزا حضاريا متكاملا جمع بين الأبعاد الاقتصادية و الثقافية والعلمية ، ومن هذا المنطلق يهدف هذا الفصل إلى إبراز الدور الحضاري للمهدية ، تسليط الضوء على مختلف مظاهر الحياة التي شكلت شخصيتها و مكانتها و سأعرض في هذا الفصل محورين رئيسين ، الأول يتناول الحياة الاقتصادية للمدينة ، بما في ذلك النشاط الفلاحي الذي شكل قاعدة للاكتفاء الذاتي إلى جانب النشاط التجاري المزدهر بفضل موقعا البحري وميناءها الذي جعل منها صلة وصل في التجارة الدولية ، فضلا عن مظاهر التقدم الحرفي و الصناعي . أما المحور الثاني فسأحاول التركيز على الحياة العلمية والفكرية من خلال المدارس ومؤسسات التعليم و ما ارتبط بها من حركة علمية نشطة إضافة إلى الوقوف عند ما عكسته العمارة الفاطمية من إنجازات عمرانية متميزة ، ثم سأتطرق إلى مظاهر الحياة الاجتماعية و العادات التي سادت بين سكان المهدية .

المبحث الأول : الحياة الاقتصادية في المهدية:

أولا: النشاط الفلاحي:

اعتمد اقتصاد مدينة المهدية بشكل أساسي على منتجات المناطق الداخلية الخصبة في إفريقية ، والتي كانت تُعتبر سلة الغذاء للعاصمة الساحلية ، وقد وفرت السهول المحيطة بمدن مثل القيروان وسوسة حبوباً مثل القمح والشعير ، بالإضافة إلى الزيتون والكروم والثمار المتنوعة ، والتي كانت تُنقل عبر الطرق البرية إلى المهدية لتلبية احتياجات سكانها[1]. كما اشتهرت المنطقة بتربية الماشية، مما وفر اللحوم والأصواف والجلود التي كانت تُستخدم في الصناعات المحلية مثل الدباغة والنسيج[2].

رغم أن المصادر المتوفرة تركز بشكل أكبر على الجوانب العمرانية والثقافية ، فإن المناخ المتوسط لساحل المهدية وسواحل إفريقية أتاح نشاطات فلاحيّة محدودة تشمل زراعة الزيتون والحبوب ، وتربية المواشي. إلا أن الأدلة الوثائقية المباشرة عن هذا الجانب في عهد الفاطميين في المهدية نادرة ، وينبغي دعم هذا المحور بمصادر أثرية محلية أو أرشيفية مستقبلية.

كون المهدية مدينة ساحلية ذات طابع تجاري وبحري أكثر من كونها زراعية إلا أنّ النشاط الفلاحي لعب دوراً مهماً في تزويدها بالمنتجات الأساسية. فقد كانت الأراضي الزراعية المحيطة بالمدينة مخصبة، وتنتج الحبوب كالقمح والشعير، بالإضافة إلى الزيتون والكروم. كما شكّل الزيت عنصراً رئيسيًا سواء في الاستهلاك المحلي أو في التبادل التجاري ، نظراً لكونه مادة استراتيجية في البحر الغربي خلال العصر الوسيط. وقد استفاد الفاطميون من خبرات الأهالي المحليين الذين ورثوا تقاليد زراعية عريقة منذ العهد

1 –ابن حوقل :المصدر السابق ،ص 78.

2– الإدريسي: المصدر السابق ، ج 1، ص 284.

الروماني والبيزنطي، حيث استُعملت أنظمة الري القديمة (السواقي والآبار) بشكل متطور لتعزيز الإنتاج الزراعي[1].

ثانيا: النشاط الحرفي:

شهدت المهدية ازدهاراً ملحوظاً في الحرف والصناعات، مستفيدة من موقعها كعاصمة وميناء رئيسي.

1- صناعة الخشب(السفن):

كانت صناعة السفن من أهم الصناعات على الإطلاق ، إذ توفرت الأخشاب من غابات شمال إفريقيا ، وكانت الحاجة ماسة لبناء الأسطول الحربي والتجاري الذي يشكل عَصَب الدولة الفاطمية وقدرتها على التوسع والدفاع[2]. فقد تميزت مدينة المهدية على وجه الخصوص بهذه الصناعة ، التي حولتها إلى قاعدة بحرية فاطمية قوية ، فقد كان أسطولها يملك مكانة وهيبة في البحر الغربي ، حيث أُقيمت بها ترسانات ضخمة لبناء السفن و صيانتها ، مكنت الفاطميين من مواجهة البيزنطيين و منافسة الأساطيل الإسلامية الأخرى [3].

2-صناعة النسيج:

1- حسن إبراهيم حسن :المرجع السابق ،ص 112.

2 - الحمد عادلة علي: المرجع السابق ، ص 322.

3- غفران محمد عزيز: **مدينة المهدية**، رسالة ماجيستر ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة ،2010 ،ص 45 .

يضم المتحف المحلي لمدينة المهدية الى وجود أعمال وفرش وأقمشة ضمن المجموعات الإسماعيلية، وهذا ما يظهر انعكاس التقليد الحرفي المتوارث[1]، فاشتهرت المهدية كونها مركز للحرفيين ومنهم النساجين فقد وصفها الإدريسي بأن ساكنيها نضاف الثياب و يصنعون ثيابا جيدة دقيقة الصنع حسنة المظهر يأتيها التجار للتجهز بها إلى جميع الآفاق و ليس لتجارتهم وقت محدد أي أن سلعها كانت مطلوبة على الدوام وذلك لجودتها و إتقان صنعها [2]. فقد ازدهرت بصناعة الغزل و النسيج ، خاصة أن المنطقة كانت مشهورة بصناعة الحرير والقطن والصوف ، وكانت المهدية مركزاً لتجارة المنسوجات الفاخرة التي كانت تصدر إلى مختلف الأنحاء[3].إضافة إلى شهرتها بأقمشة فاخرة التي عُرفت بجودتها ودقة زخرفتها، وكانت تصدر إلى مناطق عديدة من العالم الإسلامي وحتى إلى أوروبا[4] . (ملحق رقم 02 و03)[5]

3- الصناعات الحرفية أخرى :

أشار ياقوت الحموي أن الخليفة الفاطمي فَصَلَ مقر الخلافة عن العامة في مدينة قائمة بذاتها و أنشأ للسكان مدينة زويلة ، ولكن دكاكينهم و أموالهم كانت في مدينة المهدية فقد سكنوا زويلة و مارسوا أنشطتهم التجارية بالمهدية[6] .

---

[2] - الشريف الإدريسي :المصدر السابق ،م 1 ،ص ص 271 – 272 .

3 –ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 1، ص 220.

[4] - غفران محمد عزيز: المرجع السابق، ص 46.

[5] – متحف المحلي المهدية، وكالة التراث والتنمية الثقافية، تونس http.//wwwpatrimoinedetunisie.com

[6] - ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج 3، ص 60.

ضمت مدينة المهدية منشآت تجارية استطاع فيه العامة ممارسة التجارة، والصناعة ففي تلك العصور كانت الدكاكين هي المجال التجاري والصناعي عموما [1].إذ حرص أبو عبيد الله المهدي على توفير كل ما تحتاجه المدينتان من أهل الصناعة و الحرفيين و التجار فإن وجودهم من الشروط الأساسية لتخطيط المدن[2].

ازدهرت في مدينة المهدية صناعات عديدة مثل الدباغة، وصناعة الأسلحة، والزجاج، والخزف، مما يعكس تنوع القاعدة الاقتصادية للمدينة[3].إضافة الى الصناعة الحديدية مثل صناعة الأبواب ومن أشرها أبواب المهدية التي استُخدِم فيها استخداما أساسيا دون غيره من المواد [4].

و هذا ما يدل على أن الفاطميين منذ نشأة دولتهم بالمغرب كانوا حريصين على دعم و استغلال الصناعات. كما نظيف أن الحرف التقليدية شكّلت دعامة اقتصادية أساسية في المهدية، وكان أبرزها صناعة الأدوات المعدنية، الفخار، والدباغة. لكن الصناعة التي ميّزت المدينة على وجه الخصوص كانت صناعة السفن [5].
هذا إلى جانب الصناعات الصغيرة الأخرى التي ارتبطت بحاجات المجتمع اليومية كصناعة الأدوات الخشبية، والنحاسية.[6]وكمثال على هذا نذكر الصندوق المعروض بمتحف

---

[1] -محمد عبد الستار عثمان: المرجع السابق، ص 43.

[2] - نفسه ، ص 44 .

3-الدشراوي محمد : المرجع السابق ، ص 505.

[4] - إدريس عماد الدين (ت 872 ه / 1488 م) : **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب** ، تحقيق محمد اليعلاوي ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،1985 م ،ص 209 .

5- غفران محمد عزيز : *المرجع السابق* ، ص 46.

6- علي عبد الواحد وافي: ***الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي***، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1952، ص 88.

المهدية نموذجا بارزا لفن الزخرفة التقليدية والصناعات الخشبية التي عرفتها المنطقة في عصور سابقة فقد استُعمل هذا النوع من الصناديق أساسا لحفظ الأمتعة النفيسة وجهاز العروس مما أكسبه بعدا اجتماعيا ورمزيا مهما داخل المجتمع ويتميز بزخارفه النباتية والهندسية المتنوعة التي تجمع بين النقش على الخشب والتلوين بالأصباغ الزاهية في انسجام يعكس براعة الصانع التقليدي وحسه الفني ويكشف هذا الصندوق عن مكانة الزخرفة في الصناعات الحرفية المحلية ودورها في تجميل الأدوات ذات الاستعمال اليومي ومنحها قيمة جمالية تتجاوز وظيفتها النفعية الأمر الذي يبرر عرضه ضمن المجموعات

المتحفية بوصفه شاهدا على التراث المادي والذوق الفني لأهالي المهدية (ينظر الملحق رقم 04)[1].

ومن خلال ما سبق نستنتج أن المهدية كانت تحوي عدة نشاطات صناعية و حرفية و كان لمنتوجاتها بصمة خاصة أبرزت دور الفاطميين في تنشيط الصناعات منذ نشأة خلافتهم .

ثالثا: النشاط التجاري:

كان للنشاط التجاري دوراً جوهرياً في الحياة الاقتصادية لمدينة المهدية خلال العصر الوسيط، حيث شكّلت الموانئ أحد أعمدة ازدهارها. فقد استفادت المهدية من موقعها الجغرافي الإستراتيجي على ساحل البحر الغربي ، الأمر الذي جعلها نقطة وصل بين المشرق الإسلامي والمغرب والأندلس وأوروبا الجنوبية ، وخاصة إيطاليا وصقلية ومن أبرز النشاطات التجارية هو التبادل التجاري عبر هذه الموانئ و هذا راجع لموقع مدينة المهدية الساحلي ، فقد كان لميناء المهدية الدور الأبرز في تنشيط الحركة التجارية .

1- المتحف المحلي لمدينة المهدية ،وكالة التراث والتنمية الثقافية، تونس،.patrimonedetunisie

1-ميناء مدينة المهدية :

اهتم عبيد الله المهدي وخلفاؤه بتأسيس قوة بحرية لعبت دورا هاما في انتصارات الفاطميين و حروبهم وكان نتيجة هذا الاهتمام بناء منشأتين مرتبطتين بموقع مدينة المهدية الساحلي وهما دار الصناعة والتي كانت حسب وصف البكري كبيرة الحجم تتسع لأكثر من مائتي مَركب كما يضيف أنها تشتمل على مَبْنَيَيْنْ لحفظ الآلات و العُدّةُ المستخدمة في صناعة السفن وإصلاحها وميناء مدينة المهدية يصفه البكري بقوله : " مرسى المهدية منقور في حجر صَلْدْ يسع ثلاثين مركبا على طرفي المرسى برجان بينهما سلسلة حديد " [1] . (أنظر الملحق رقم 05 و **06**)[2].

يعد ميناء المهدية من أبرز الموانئ المحصنة في ذلك العصر، إذ أقامه الفاطميون بعناية كبيرة، وزَوّدوه بالأبراج والأسوار لحمايته من هجمات البيزنطيين والقراصنة. وقد سمح هذا الميناء باستقبال السفن التجارية الكبيرة، مما جعله مركزًا رئيسيًا لتبادل السلع والبضائع[3] .

لم يقتصر نشاط المهدية التجاري على الجانب الاقتصادي فحسب ، بل كانت له أبعاد سياسية أيضًا ،حيث اسْتُغِل الميناء كوسيلة للتواصل مع القوى المتوسطية مثل صقلية وجنوة والبندقية. وكانت هذه العلاقات التجارية تُترجم أحيانًا إلى معاهدات واتفاقيات ضامنة للمصالح المشتركة وحماية السفن التجارية من القرصنة[4] .

1- البكري : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 683 .

2 -الملحق رقم 05صفحة السفينة الكحلاء: file.skifaelkahla

mahdia.JPG

- الملحق رقم 06 PESCATORI A WIKIMEDIACOMMONS

MAHDIA

3-ابن عذارى : المصدر السابق ،ج 1 ،ص 245.

4- Holm, ***The Empire of the Mahdi***, p. 210

و من هذا نخلص الى أهمية ميناء مدينة المهدية الذي أبرز دورها في البحر الغربي ونلتمس من هذا الى أهمية موقعها الإستراتيجي واستغلال الفاطميين لهذا الموقع اقتصاديا وعسكريا وثقافيا.

2-التجارة البحرية:

قامت السفن الفاطمية بنقل البضائع بين المشرق والمغرب ، وتاجرت مع الموانئ الإسلامية في صقلية والأندلس ، وكذلك مع الموانئ البيزنطية والإيطالية مثل البندقية وأمالفي ، رغم فترات الصراع[1].

3-المبادلات التجارية :

تنوّعت السلع المتبادلة عبر ميناء المهدية ؛ فشملت الصادرات المنتوجات الفلاحية كالزيتون وزيت الزيتون ، والحبوب ، إضافة إلى المنتوجات الرفيعة مثل النسيج عالي الجودة ، والأقمشة الفاخرة ، وصناعة الجلود ، والسفن ، أما الواردات فقد ضمت التوابل ، والمعادن ، وبعض السلع القادمة من المشرق و المجلوبة عبر التجارة البحرية[2].

صدرت المهدية العديد من السلع الاستهلاكية مثل الزيتون والزيت ، والحبوب فضلا عن منجاتها الرفيعة كالمنسوجات ، والفخار عالي الجودة ،إضافة الى استيرادها المعادن من أوروبا ، و البضائع الفاخرة والتوابل والأدوية من المشرق [3].

4- العملة المتبادلة (المسكوكات):

1-العبادي أحمد مختار: *في تاريخ المغرب والأندلس*، ص 250.

2- الدشراوي : المرجع السابق ، ص 317

3- العبادي أحمد مختار : في تاريخ المغرب والأندلس، ص 251.

ضربت الدولة الفاطمية نقودها الذهبية (الدينار المهدي) في دار للسك داخل المدينة، و هو ما يعكس استقلاليتها الاقتصادية وقوة نظامها المالي[1].

مما سبق نخلص إلى أن الدور التجاري لمدينة المهدية جعل منها مركزاً اقتصادياً نابضاً ، وساهم في تعزيز مكانة الفاطميين في البحر الغربي ، الأمر الذي أكسبهم نفوذاً واسعاً وهَيْبَة سياسية بجانب قوتهم العسكرية.

المبحث الثاني : الحياة العلمية والفنية بالمهدية

أولا: الحياة العلمية:

شهدت مدينة المهدية خلال العصر الفاطمي ازدهاراً علمياً ملحوظاً ، إذ لم تقتصر أهميتها على الجانب السياسي والعسكري ،بل تحولت إلى مركز إشعاع فكري وثقافي في بلاد المغرب الإسلامي. فقد أولى الفاطميون عناية بالغة بالعلم ونشر المذهب الإسماعيلي ، وسعوا إلى جعل المهدية قاعدةً لنشاطهم الفكري والدعوي[2] .

1- أهم العلوم:

تعددت العلوم التي ازدهرت في المهدية، حيث برزت علوم الدين مثل الفقه والعقيدة، خاصة المرتبطة بالمذهب الإسماعيلي الذي حرص الخلفاء الفاطميون على نشره. كما ازدهرت علوم اللغة العربية وآدابها ، والتاريخ والأنساب ، إضافة إلى العلوم العقلية كالطب والفلك والرياضيات ، والتي استُقطب لها علماء من المشرق والأندلس وصقلية[3] . فقد ازدهرت علوم الدين والفقه، منها فقه المذهب الشيعي الإسماعيلي، إلى جانب علوم اللغة العربية، والطب، والفلك، والرياضيات[4] .كما ذكرنا سابقا هذا التنوع والازدهار العلمي هو

3- ابن عذارى : المصدر السابق ،ج 1 ،ص 220.

2- ابن خلدون: المصدر السابق، ج 4، ص 120.

3- حسن إبراهيم حسن: *المرجع السابق*، ص 211

ما عكس تميز الناحية العلمية الكبيرة وذلك نتيجة لعناية الخلفاء الفاطميين بالعلماء و طلبة العلم .

2-طرق التعليم:

اعتمد التعليم في المهدية على حلقات العلم داخل المساجد والمدارس. كان الجامع الكبير بالمهدية مركزًا رئيسيًا للتعليم، حيث تُعقد فيه الدروس ويلتقي العلماء والطلاب لتبادل المعارف. كما لعبت المكتبات الخاصة والعامة دورًا مهمًا في حفظ العلوم وتداولها إذ حرص الخلفاء الفاطميون على جمع الكتب من شتى الأقطار[1].

3-مؤسسات التعليم:

اشتهرت المهدية في عصرها كعاصمة للفاطميين بالمغرب ، بضم مؤسسات تعليمية بارزة ، فقد أنشأت بها مدارس لتدريس القرآن الكريم والفقه ، وأماكن مخصصة للمناظرات بين العلماء ، كما توافد إليها طلاب من المغرب والأندلس للاستفادة من علومها ، وهو ما جعلها حاضرة علمية لا تقل أهمية عن القيروان في تلك الفترة فقد كان التعليم يتم في المساجد (كالمسجد الجامع في المهدية) وفي حلقات العلم التي يعقدها العلماء في بيوتهم أو في مجالس الأمراء . وكان القاضي النعمان مؤلف "دعائم الإسلام" ، من أبرز علماء البلاط الفاطمي الذين لعبوا دوراً كبيراً في نشر المذهب الإسماعيلي وتنظيم التعليم وفقاً له[2].ومن الأمثلة البارزة عن المؤسسات التعليمية نذكر الجامع الكبير والذي تعبر هندسته على كونه مؤسسة تعليمية إذ تعبّر الأعمدة الداخلية والقناطر عن بيئة الحلقات العلمية والتدريس. يمكن تخيل الدرس الفاطمي في محيط مثل هذا،حيث يجتمع الطلاب حول إمامهم لإلقاء

4 - طقوش محمد سهيل :المرجع السابق ،ص 120.

3- المقريزي :اتعاظ الحنفا ،ج 1 ،ص 87

2-القاضي النعمان ابن خليفة النعمان بن محمد التميمي المغربي: **دعائم الإسلام** تحقيق آصف فيضي ،دار المعارف ،القاهرة ،ط 2 ،1965 م ،ج 1 ،مقدمة المحقق.

الدروس ،وهنا يظهر هذا المشهد الخارجي للجامع تصميمه الرمزي كمساحة مركزية للتعليم والدعوة ،لا للمظهر فقط. وهذا البناء الصامت يعكس دوره كأول جامعة من نوعها في المهدية ،حيث امتزج فيه البعد الديني بالوظيفة التعليمية. (انظر الملحق رقم 07 و08 و09)[1].

ثانيا: فن العمارة والزخرفة:

شكّل فن العمارة والزخرفة في مدينة المهدية أحد أبرز مظاهر حضارتها خلال العصر الفاطمي، حيث جسّد طموحات الدولة الناشئة في بناء عاصمة قوية ومتميزة تعكس هيبتها السياسية والدينية. وقد تأثر الطراز المعماري في المهدية بالعناصر المحلية المغاربية من جهة ، وبالتيارات القادمة من المشرق الإسلامي والبيزنطي من جهة أخرى.[2]

1- العمارة وأنواعها:

منذ بداية بناء مدينة المهدية اهتم الخليفة الفاطمي أبي عبيد الله المهدي بعمارتها والخلفاء من بعده ساروا على نهجه ما أضفى على المدينة طابعا فريدا يجمع بين الوظيفة الدفاعية والسياسية و الدينية ، فقد تميزت مدينة المهدية عموما بعمارة استطاع الفاطميون من خلالها إضافة شكل من أشكال العمارة الإسلامية و يمكن أن نقسمها إلى أنواع هي :

أ- المنشآت العسكرية:

أول ما بناه الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي هو سور غربي ضخم يحيط بالمدينة مزود بأبراج للمراقبة ومن ضخامته يصفه الحموي على أنه يتسع لفارسين متجاورين إضافة

1- متحف بلا حدود 2025.2025

2- الإدريسي ابي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحموديني الشريف : ***نزهة المشتاق*** **في اختراق الآفاق** مكتبة الثقافة الدينية م 1، القاهرة 1994م ص 284.

إلى الأبواب الحديدية الضخمة و الثقيلة وهذا ما يُظهر دوره الدفاعي عن المدينة ، إضافة إلى مينائها ودار الصناعة [1]. مثلت هذه المنشآت نموذجا عن العمارة الفاطمية بالمغرب ، كما كان لها الدور الفعال في حروب وانتصارات الفاطميين .

2- المنشآت الدينية و المدنية:

شُيّدت العديد من المساجد، والقصور السلطانية والدور السكنية والأسواق التي صممت وفق نظام معماري متناسق [2]، فمن أهم هذه المنشآت المسجد الجامع الكبير الذي بناه أبي عبيد الله المهدي سنة 916 م ،وميناء المهدية الذي كان يمثل الدور الدفاعي والمدني معا ، كما نذكر قصر الخلافة لعبيد الله المهدي ، وقصر ابنه أبي القاسم ، إضافة الى الجباب و المصانع لتخزين الماء والأهراء لتخزين القمح ودار الصناعة ، كما يوجد مساكن للجند والحاشية ، المدخل الرئيسي البارز إضافة إلى مصلى العيد الذي أنشأه الفاطميون بظاهر مدينة المهدية من الجهة الغربية خارج أسوارها ،كل ما سبق ما هو إلا نماذج عن المنشآت الدينية و المدنية دون أن ننسى المنشآت المائية فقد حرص أبي عبيد الله المهدي على توفير الماء لمدينته بسهولة ووفّر طرق تخزينه [3].(أنظر الملحق رقم 10)[4].

2-الزخرفة :

1 - ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج 5، ص 230.

2 - بن عذاري: المصدر السابق ، ج1 ، ص 220.

3 - محمد عثمان عبد الستار :المرجع السابق ،ص ص 28 – 43.

4- المتحف الإقليمي للمهدية HTTPS// WWW.PATRIMOINEDETUNISIE.COM TN/MUSEES/MUSEE-DE-MAHDIA/

أما الزّخرفة ،فقد عكست البعد الجمالي والفني للعمارة الفاطمية. استُخدم الحجر الجيري في تزيين جدران المباني ، وزُخرِفت الأبواب والنوافذ بأقواس نصف دائرية أو مفصصة تحمل تأثيرات بيزنطية (انظر الملحق رقم 11)[1] .كما استُعملت الزخرفة الهندسية والنباتية بكثرة ،إلى جانب النقوش الكتابية بالخط الكوفي المزخرف ، التي كانت تحمل آيات قرآنية أو كتابات تُمجد الخلفاء الفاطميين[2]،وبالرغم من تحريم الإسلام لاستعمال العناصر الآدمية والحيوانية كعناصر معمارية إلا أن البكري يشير إلى استخدام عناصر زخرفية على أبواب مدينة المهدية على شكل حيوانات [3]،وقد أكد هذه الرواية وصف مرامول إلى حد كبير ، والذي يوضح أسلوب تنفيذها وماهية الحيوانات على هذه الأبواب وطريقه رسمها وحدد وضعيتها واتجاهها ،هذه الزخرفة كان لها رمزية وارتباط ،حيث كانت على شكل أسدين مزخرفين على باب المهدية وذلك دلالة على ارتباطها بالبرج الذي اختير كطالع سعيد لمدينة المهدية وهذا أيضا دليل على أن الخلفاء الفاطميين و على رأسهم أبي عبيد الله المهدي كانوا يحرصون على تفاصيل ودلالات عمارتهم بعناية [4].

إن الزخارف والنقوش الموجودة في المنشآت المعمارية الفاطمية على اختلافها دليل على ذلك ، إذ أبرز من خلالها الفاطميون مدى اهتمام الدولة بإبراز جلال خلفائها وقوة خلافتها وما اهتمامهم ببناء المهدية كأول عاصمة ناشئة للدولة الفاطمية وعنايتهم بالرسوم و توظيف العمارة لخدمة أغراض دعائية سياسية هذا الاهتمام ولّد لنا ابتكاراً جديدا ونمطا زُخرفيا خاص بهم وما شَكْل المدخل البارز ومسجد الجامع الكبير إلا مثال على ذلك ، إضافة إلى أمثلة أخرى مثل رسوم المواكب من القصر إلى الجامع كما يتوافق هذا مع الاهتمام بعمارة قصر الخلافة ، وكل ما

1- متحف بلا حدود 2025.2025 HTTPS//ISLAMICART.MUSUMWNF.ORG/DATABASE-ITEM.PHP

2 Bloom, **Architecture of the Fatimid Dynasty**, p. 56.

3 - البكري : المصدر السابق ، ج 2 ص 683 .

4 – عثمان عبد الستار عفيفي: المرجع السابق، ص 22.

ذكرناه سابقا جاء ليحقق أغراض دعائية سياسية للدولة الفاطمية وما يؤكد هذا هو استمرار عمائر الفاطميين على نفس النهج في مدينة القاهرة بعد ذلك [1].

ومن خلال هذا الطراز المعماري و الزخرفي ، وضعت المهدية أسس الفن الفاطمي الذي تطور لاحقًا في القاهرة .

ثالثا: فنون الحياة

تجلّت في مدينة المهدية خلال العصر الوسيط ملامح فنّ الحياة اليومية التي جمعت بين البساطة المغاربية والرقيّ الحضاري الذي حاول الفاطميون ترسيخه في عاصمتهم الجديدة. فقد كان لعادات الناس وتقاليدهم دور بارز في رسم هوية المدينة ، بما يعكس التفاعل بين الجانب الاجتماعي والثقافي والسياسي، خاصة أنه عاشت في المدينة جاليات متنوعة من العرب، والبربر ، والصقالبة ، واليهود ، والنصارى ، والزنوج ، كل منهم ساهم في نسيج الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية[2].

1-العادات الاجتماعية:

تميّز المجتمع المهديّ بتقاليد متوارثة من البيئة المغاربية مثل الاحتفاء بالمناسبات الدينية والاجتماعية. كان الأهالي يولون أهمية كبرى لمناسبات الأعياد ، حيث تُنظم الولائم وتُقام الاحتفالات الشعبية. كما اشتهرت المهدية بانتشار قيم التكافل الاجتماعي من خلال الأسواق والجمعيات الحِرفية التي جمعت بين البعد الاقتصادي والاجتماعي .[3]

---

[1] - نفسه، ص 32 – 33.

2-المقريزي :اتعاظ الحنفا ،ج 1 ،ص 158.

3- نفسه، ص 90.

2-التقاليد الثقافية:

ارتبطت التقاليد الثقافية بالمناسبات الرسمية التي يشرف عليها الخلفاء الفاطميون ، حيث تُعقد مجالس السماع والإنشاد الديني ، وتُلقى القصائد الشعرية التي تمدح الخلفاء وتُبرز مكانتهم. وكان التعليم وحلقات النقاش العلمي جزءاً من الحياة اليومية، مما جعل الثقافة الدينية والفكرية مندمجة مع الحياة الاجتماعية[1].

أ-اللباس والأكل:

تأثرت أزياء المهدية بالعناصر المحلية والعربية، إذ كان اللباس الفضفاض المصنوع من الكتان والقطن شائعاً بين عامة الناس، بينما ارتدى رجال الدولة والوجهاء أقمشة فاخرة مستوردة من المشرق وصقلية. أما الأطعمة فتنوعت بين الحبوب والخبز والزيتون، إلى جانب الأسماك بحكم موقع المدينة الساحلي، مع إدخال التوابل الشرقية التي وصلت عبر التجارة البحرية[2].

ب-التقاليد الاحتفالية:

امتازت المهدية بإقامة المواكب الرسمية للخلفاء، والتي كانت تعكس عظمة الدولة وهيبتها، حيث تُزيّن الشوارع بالأعلام وتُقرع الطبول.كما كانت الأعراس تتميز بعادات

1- ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص 125.

2- الدشراوي : المرجع السابق ،ص 327.

محلية تتخللها الأغاني الشعبية والرقصات التقليدية، مما يعكس التقاء الأصالة بالبعد الحضاري الجديد الذي أرساه الفاطميون[1] .

هذا المزيج بين العادات الاجتماعية البسيطة والتقاليد الرسمية المهيبة ، رسمت المهدية صورة مجتمع متكامل، جمع بين الأصالة المغاربية والتأثيرات القادمة من المشرق، مما جعلها مركزًا حضاريًا

نابضًا بالحياة في العصر الوسيط ،انعكست سياسة التسامح النسبي للفاطميين وطبيعة المدينة كحاضرة وسيطية على الحياة الاجتماعية ، فشهدت تنوعاً ثقافياً وثراءً في العادات والتقاليد.

ج- مظاهر الترف:

يُستدل على حياة الترف والرفاهية من خلال وصف المؤرخين لحفلات الاستقبال والأعياد التي كانت تقام في القصور، واهتمام أهل المدينة بالملبس والمأكل الفاخر القادم من مختلف الأنحاء، مما يعكس ثراء الطبقة الحاكمة والتجار[2].

3- الإدريسي : المصدر السابق ،ج 1 ،ص 285.

1 – نفسه ،ص 158.

خلاصة الفصل الثالث:

من خلال ما تم تناوله في هذا الفصل ، يتضح أن مدينة المهدية قد نجحت في أن تكون نموذجاً للحاضرة الإسلامية المتكاملة خلال عهدها الفاطمي ، فاقتصادياً لم تعتمد فقط على مواردها الداخلية من خلال النشاط الفلاحي ، بل نجحت في توظيف موقعها الإستراتيجي لتصبح مركزاً صناعياً كبيراً ، تخصص في صناعات إستراتيجية كبناء السفن والنسيج ، ومحوراً تجارياً دولياً ربط بين شطري العالم الإسلامي والعالم المسيحي في حوض المتوسط.

وعلى الصعيد الحضاري، برزت المهدية كمركز للإشعاع الفكري، حيث احتضنت العلماء وشجعت الحركة العلمية، وإن كان ذلك في إطار خدمة المذهب الرسمي للدولة. كما تجلى الازدهار في الطراز المعماري الفريد الذي جمع بين متانة الأسوار والعمارة الدفاعية من جهة، وجمالية الزخرفة ودقة التفاصيل في المساجد والقصور من جهة أخرى.

وأخيراً فإن التنوع الثقافي والاجتماعي الذي عرفته المدينة ، والرفاهية التي تمتعت بها طبقتها الحاكمة والتجارية ، كانا انعكاساً طبيعياً لهذا التكامل بين القوة الاقتصادية والنشاط الحضاري ، وبذلك لم تكن المهدية مجرد عاصمة سياسية ، بل كانت مشروعاً حضارياً متكاملاً ، وواحدة من ألمع المراكز الحضارية في غرب العالم الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري .

الخـــاتمـــة

الخاتمة:

برزت مدينة المهدية في العصر الوسيط كواحدة من أهم الإنجازات الحضارية والسياسية في تاريخ بلاد المغرب الإسلامي، فهي لم تكن مدينة عادية، بل كانت مشروعًا سياسيًا متكاملاً حمل بين جدرانه أبعادًا متعددة: عسكرية ،اقتصادية ،ثقافية ،ودينية. فقد شكّل تأسيسها سنة 912م على يد أبي عبيد الله المهدي حدثًا فارقًا في تاريخ المنطقة، إذ أراد من خلالها أن يجعلها قاعدة صلبة لترسيخ أركان الدولة الفاطمية الناشئة ،ومركزًا لمواجهة القوى الداخلية والخارجية التي كانت تنازع الفاطميين النفوذ والشرعية.

من الناحية التاريخية، عكست المهدية ديناميكية سياسية بالغة الأهمية، حيث كانت القلب النابض للتوسعات الفاطمية في بلاد المغرب، والنقطة المركزية التي انطلقت منها الحملات العسكرية والدعوات الدعوية لنشر المذهب الإسماعيلي. كما كان لها دورًا محوريًا في العلاقات الدولية ،إذ جمعت بين الصراع مع الأمويين بالأندلس والبيزنطيين في البحر الغربي ،وبين محاولات عقد الاتفاقيات مع القوى الإقليمية لضمان توازن سياسي وعسكري يخدم مصالح الدولة. لقد كانت المهدية مختبرًا حقيقيًا لتجربة الحكم الفاطمي في مرحلته التأسيسية، وقاعدةً متقدمة لمشروعه الإمبراطوري الذي سينتقل لاحقًا إلى مصر.

أما من الناحية الحضارية، فقد جسدت المهدية صورة مدينة نابضة بالحياة. فقد عرفت اقتصادا متنوعًا اعتمد على الزراعة في محيطها الخصيب، والحرف التي تميزت بها مثل صناعة النسيج وبناء السفن، إلى جانب حركة تجارية نشطة جعلت من مينائها حلقة وصل بين المشرق والمغرب وأوروبا الجنوبية. كما شكّلت الحياة العلمية أحد أوجه التميز الحضاري فيها، حيث اجتمع العلماء والطلاب في مساجدها ومؤسساتها، وتداولوا علوم الدين واللغة والطب والفلك، وهو ما أضفى عليها طابعًا ثقافيًا يوازي أهميتها السياسية. ولم يكن الفن المعماري والزخرفي أقل شأنًا، إذ عكست أسوارها ومساجدها وقصورها مزيجًا بين الوظيفة الدفاعية والجمالية، في حين مثّلت العادات والتقاليد اليومية ميدانًا لتجسيد فنّ الحياة الذي جمع بين البساطة المحلية والرمزية الاحتفالية التي حرص الخلفاء على إظهارها.

إن دراسة المهدية تكشف عن قدرة الدولة الفاطمية على توظيف المكان لبناء حضارة تتجاوز حدود السياسة الضيقة ، إذ لم تكن المهدية مجرد حصن بحري ولا مجرد عاصمة إدارية ، بل كانت فضاءً لتفاعل الإنسان مع بيئته ومع تاريخه ، ومجالاً للتلاقح بين المحلي والعالمي. لقد شكّلت همزة وصل بين إفريقيا الشمالية وبحر الروم ، وبين المشرق والمغرب ، وهو ما جعلها تحمل بصمة خاصة في مسار التاريخ الوسيط.

وعلى الرغم من انتقال مركز الثقل السياسي إلى القاهرة بعد تأسيسها ، فإن المهدية ظلّت تحمل قيمة رمزية عميقة ؛ فهي تمثل البداية الحقيقية لمشروع الدولة الفاطمية ، والمرحلة التي صاغت ملامح سياستها الخارجية ووضعت الأسُس الأولى لحضارتها. إن إعادة إحياء دراسة هذه المدينة اليوم يتيح لنا فهمًا أعمق للهوية المغاربية ، وكيف أسهمت المهدية في صياغة ذاكرة مشتركة بين ضفتي البحر الغربي ، بما تحمله من معاني التعايش ، والصراع ، والانفتاح ، والاستمرارية التاريخية.

الملاحـــــق

الملحق رقم 01: موقع مدينة المهدية

الملحق رقم 02: يمثل نموذج لآلة النسيج

ملحق رقم 03: نوع اخر من آلات النسيج

الملحقان 02 و03 تجسدان نماذج آلات النسيج المعروضة بالمتحف المحلي لمدينة المهدية ازدهار الصناعة التقليدية في مدينة المهدية خلال العصر الوسيط ودورها في انتاج الاقمشة الفاخرة التي عرفت بها المهدية في العالم الاسلامي والمتوسطي.

ملحق رقم: 04

يمثل صندوق خشبي مزخرف بطريقة جميلة تظهر ذوق وبراعة الحرفيين في مدينة المهدية كان يستعمل لجمع الاغراض الثمينة او جهاز العروس

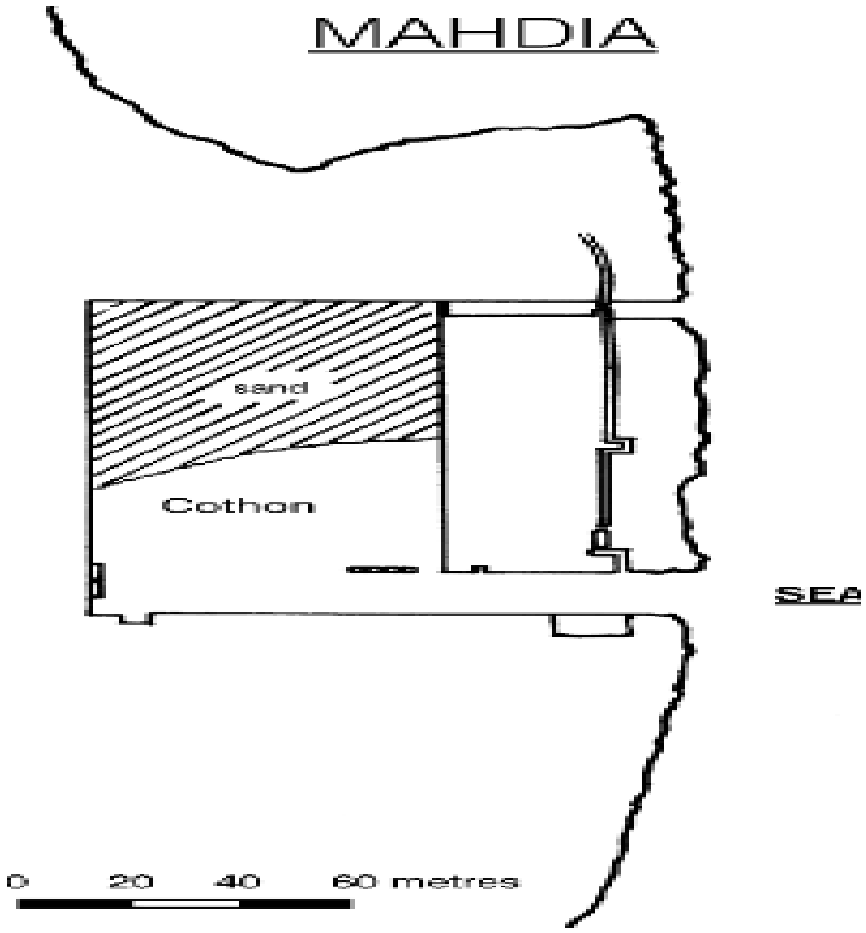

الملحق رقم 05

يمثل مرفأ المهدية أو المبنى البحري المنحوت في الصخر، والمعروف بـ"الكوتون" يعود إلى العهد الفاطمي ويُعتبر أحد أبرز المعالم للتبادل التجاري والحياة البحرية في المدينة.

مرسى المهديّة (حاليّا)

الملحق رقم 06

يمثل مرسى المهدية في الوقت الحالي في مقاربة بين الماضي والحاضر.

الملحق رقم 07

عرض جانبي أو معماري داخلي

هذا المشهد الداخلي يُصدّر أجواء المساحات المغلقة للدراسة، حيث تلتقي البيئة المحلية (أعمدة، طراز فاطمي مُتقدم) بالمنهج العلمي التقليدي القائم على الحلقات والتعليم الشفوي.

البوابة والواجهة — اللون والحصانة

تظهر بوابة الجامع بشكل دفاعي محكم، بجمالية فنية، ما يدل على أن الحياة العلمية داخل المدينة كانت مشروطة بالحماية والدعامة التنظيمية الثابتة.

الملحق رقم 08

مدخل مجدد داخلياً أو الأعمدة الداخلية

الملحق رقم 09

الجامع الكبير من الخارج الواجهة الرئيسية

الملحق رقم 10:

يمثل صورة خارجية ساحلية للجامع الكبير في المهدية

ملحق رقم 11

تمثل الصورة اعمدة الجامع الكبير في مدينة المهدية

قائمة المصادر و

المراجع(البيبلوغرافيا)

أولا–المصادر والمراجع باللغة العربية:

1–: قائمة المصادر التاريخية

01 – ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد أبي عبد الكريم الشيباني (توفي 630 ه) ، **الكامل في التاريخ**، تحقيق عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، دون طبعة، بيروت – لبنان، 1994م، الجزء السادس.

02- ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، دون طبعة، بيروت – لبنان، 2012 ، الجزء السابع.

03- ابن حوقل، أبو القاسم محمد النصيبي (توفي بعد 367 ه)، **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، دون طبعة ، بيروت، 1996، الجزء الأول.

04- ابن خلدون عبد الرحمن (توفي 808 ه)، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، مراجعة سهيل زكار وخليل شحادة، دار الفكر، بيروت – لبنان، دون طبعة، 2000م، الجزء الرابع .

05- ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر(توفي 681 ه)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت – لبنان، دون طبعة، 1978م، الجزء الأول.

06– ابن خلكان ، **وفيات الأعيان** ، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، دون طبعة، لبنان ، دون تاريخ، الجزء الثاني.

07- ابن عذارى المراكشي(توفي 712 ه)، **البيان المغرب في ذكر أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ج. س. كولان و ل. بروفنسال ، دار الثقافة ، الطبعة الثالثة، بيروت – لبنان، 1983م، الجزء الأول .

08- الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (توفي 548 ه)، الملل والنحل ، تحقيق محمد سيد الكيلاني ، دار المعرفة ، دون طبعة، بيروت، دون تاريخ ، الجزء الأول .

09- أبو عبد الله المقدسي (توفي 380ه)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، دار إحياء التراث العربي، دون طبعة، بيروت – لبنان، 1987م.

10- أبو عبيد البكري (توفي 487 ه)، **المسالك والممالك**، تحقيق جمال طلبة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، 2003، الجزء الثاني.

11- **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، مكتبة المثنى، دون طبعة، بغداد، دون تاريخ النشر .

12- إبن حزم على ابن احمد الأندلسي(توفي 456 ه)، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، تحقيق محمد ابراهيم نصر وعبد الرحمان عميرة ، دار الجيل ،دون طبعة، بيروت ، دون سنة النشر، الجزء الخامس.

13- الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحمودينى الشريف (توفي 560 ه)، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، دون طبعة، القاهرة، 1994 ، المجلد 1.

14- ابن الخطيب لسان الدين(توفي 776 ه)، **أعمال الأعلام** ، تحقيق أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، دون وطبعة الدار البيضاء – المغرب، 1964م، الجزء الثالث.

15- بن حماد أبو عبد الله محمد بن علي (توفي 592 ه)، **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**، تحقيق التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار الصحوة، دون طبعة، القاهرة – مصر، دون تاريخ النشر .

16- التجاني أبو محمد عبد الله بن محمد.(توفي 711ه)، **رحلة التجاني تونس طرابلس 706 ه –708 ه**، تقديم حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، دون طبعة، ليبيا – تونس، 1981م.

17- الحموي ياقوت بن عبد الله الرومي (توفي 626ه)، معجم البلدان، دار صادر، دون طبعة، بيروت – لبنان، 1977م، الجزء الثالث، الجزء الرابع ، الجزء الخامس.

18- الحميري أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (توفي 900ه)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، *تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان،الطبعة الثانية، بيروت – لبنان ، 1984م.*

19- القاضي النعمان أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي(توفي 336 ه)، ***افتتاح الدعوة***، تحقيق فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، تونس، 1986م.

20- القاضي النعمان، .***دعائم الإسلام*** .تحقيق آصف فيضي، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، 1965 ، الجزء الأول .

21- القزويني زكريا بن محمد بن محمود(توفي 682 ه)، ***آثار البلاد وأخبار العباد***، دار صادر، دون طبعة، بيروت، الجزء الأول، دون سنة النشر.

22- المقريزي تقي الدين أحمد بن علي(توفي 845 ه)، ***اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا*** ، تحقيق جمال الدين الشيال، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية،دون طبعة ، القاهرة ، 1996 ، الجزء الأول.

23- المقريزي ، ***اتعاظ الحنفا***، تحقيق جمال الدين الشيال، لجنة التراث العالمي الإسلامي،دون طبعة، القاهرة ، 1967م ، الجزء الرابع.

24- المقريزي، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، دار صادر، دون طبعة، بيروت-لبنان، دون سنة الطبع، الجزء الأول.

25- الإسفرائيني أبو المظفر عبد القاهر بن طاهر(توفي 471 ه)، **الفرق بين الفرق**، تحقيق محمد محي الدين، دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثانية، بيروت ، 1977 م .

26- القرشي إدريس عماد الدين (توفي 471ه)، عيون الأخبار وفنون الآثار، تحقيق مصطفى غالب، دار الأندلس للطباعة و النشر والتوزيع، الطبعة الثانية، بيروت-لبنان، 1986.

2- المراجع التاريخية:

01- احمد أمين، ***فجر الإسلام***، دار الكتاب العربي، الطبعة العاشرة، بيروت – لبنان، 1969.

02- أحمد مختار العبادي، **في التاريخ العباسي والفاطمي**، دار النهضة العربية،دون طبعة، بيروت – لبنان،دون سنة الطبع.

03- جمال الدين عبد الله محمد ، **الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها لمصر**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، دون طبعة، القاهرة، 1991 .

04- حسن إبراهيم حسن .***تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي***، دار الجيل ، مكتبة النهضة المصرية،الطبعة الرابعة عشر، بيروت، القاهرة،1953الجزء الثاني ،1996،الجزء الثالث.

05- حسن ابراهيم حسن،طه احمد اشرف،**عبيد الله المهدي امام الشيعة الاسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب**، مكتبة النهضة المصرية، دون طبعة، القاهرة- مصر،1992.

06- حسين مؤنس،***معالم تاريخ المغرب والأندلس*** .دار الرشاد، دون طبعة،القاهرة، 1997.

07- الخربوطلي علي حسني، ***أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية***، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة – مصر، 1972م.

08- الدشراوي فرحات، .***الخلافة الفاطمية بالمغرب*.التاريخ السياسي والمؤسسات**، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الاولى، بيروت، 1994.

09- زغلول عبد الحميد سعد، ***تاريخ المغرب العربي***، منشأة المعارف، الإسكندرية – مصر، 1979م، الجزء الثالث.

10- سرور محمد جمال الدين، ***النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب***، دار الفكر العربي،الطبعة الاولى، القاهرة – مصر، 1950.

11- السيد عبد العزيز سالم، ***تاريخ المغرب في العصر الإسلامي*** .مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة، 1991.

12- السيد أيمن فؤاد، ***الدولة الفاطمية في مصر: تفسير جديد*** .الهيئة المصرية اللبنانية،دون طبعة، القاهرة – مصر، 1992.

13- شفيق غربال، ***الموسوعة العربية الميسرة***، دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، دون طبعة، القاهرة، 1965.

14- طقوش محمد سهيل، ***تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر وبلاد الشام*** .دار النفائس، دون طبعة، بيروت، دون تاريخ النشر.

15- العبادي أحمد مختار، ***في تاريخ المغرب والأندلس***، دار النهضة العربية، دون طبعة، بيروت، دون سنة النشر.

16- عبد الحميد، عادلة علي، ***قيام الدولة الفاطمية ببلاد المغرب***،دار المستقبل، دون طبعة، القاهرة، 1980.

17- عبد الرزاق محمود إسماعيل، ***سوسيولوجيا الفكر الإسلامي*** ،سينا للنشر والتوزيع، دون طبعة، القاهرة – مصر، 2000.

18- عبد الرزاق محمود إسماعيل، ***الخوارج في بلاد المغرب الإسلامي***، حتى منتصف القرن الرابع الهجري، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، 2010.

19- عبد المنعم محمد جمال الدين الصادق، ***في تاريخ المغرب الإسلامي: دراسة للحياة السياسية والاقتصادية بإفريقية***(261–365ه)، دار الفكر العربي، دون طبعة، القاهرة – مصر، 2014.

20- عثمان محمد عبد الستار، ***العمارة الفاطمية (الحربية – المدنية – الدينية)***، دار القاهرة،الطبعة الاولى، القاهرة، 2006.

21- عفيفي عبد الحكيم .***موسوعة 100 مدينة إسلامية***، أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، بيروت – لبنان، 2000.

22- علي عبد الواحد وافي، ***الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي***، دار الثقافة العلمية،دون طبعة، مصر، 1999 .

23- غفران محمد عزيز، ***مدينة المهدية***، رسالة ماجستير، كلية الآداب، تحت اشراف ا.م.د رياض حميد الجواري،دار الثقافة العلمية، دون طبعة، جامعة الكوفة، العراق، 2010.

24- فتحي زغروت، ***العلاقات بين الأمويين والفاطميين*** .دار التوزيع والنشر الإسلامية، الطبعة الاولى، القاهرة – مصر، 2005.

25-كمال السيد مصطفى، ***دراسات في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس***، مركز الاسكندرية، الاسكندرية – مصر، 1997.

26- المجدوب عبد العزيز، ***الصراع المذهبي بإفريقية***، دار سحنون، دون طبعة، تونس، 2008.

27- محمد ضياء الدين الريس، **النظريات السياسية الاسلامية**، دار الثقافة، الطبعة السابعة، القاهرة- مصر،1976.

28- موسى لقبال، **دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها الى منتصف القرن الخامس الهجري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دون طبعة، الجزائر، 1979.

ثانيا: المصادر والمراجع باللغة الأجنبية :

1. Bloom, Jonathan M., **Architecture of the Fatimid Dynasty**.cairo.dar al-shorouk.
2. Creswell, K. A. C: **The Muslim Architecture of Egypt**, Hacker Book, New York, 1978, Vol. VI.
3. Halm, Heinz: **The Empire of the Mahdi: The Rise of the Fatimid's**.leiden.
4. Sénac, Philippe, **La Méditerranée des Musulmans**, Paris: Armand Colin, 2000.

ثالثا : المواقع الإلكترونية :

INEDETUNISIE.COM TN/MUSEES/MUSEE-DE-MAHDIA/

HTTPS//ISLAMICART.MUSUMWNF.ORG/DATABASE-ITEM.PHP *متحف بلا حدود 2025 . 2025*

المتحف المحلي لمدينة المهدية ، تونس

ملخص المذكرة باللغة العربية :

تناولت هذه المذكرة دراسة الدور التاريخي والحضاري لمدينة المهدية في العصر الوسيط، باعتبارها إحدى أهم الحواضر الإسلامية التي أسسها الفاطميون في بلاد المغرب. ينطلق البحث من تحليل نشأة الدولة الفاطمية وظروف تأسيس مدينة المهدية، حيث ارتبط تأسيسها بالخلفية الدعوية والسياسية لأبي عبيد الله المهدي ، وما رافق ذلك من دوافع أمنية وعسكرية وتجارية.

كما يتناول البحث الدور التاريخي للمدينة من خلال موقعها المحوري في التوسعات الفاطمية والعلاقات المتشابكة مع القوى الإقليمية كالأمويين بالأندلس والبيزنطيين في البحر الغربي مما جعلها مركزًا إستراتيجيًا للسياسة الخارجية الفاطمية ومقرًا لاتفاقياتها وتحالفاتها.

أما الجانب الحضاري فيبرز إسهام المهدية في الحياة الاقتصادية بفضل النشاط الفلاحي والحرفي والتجاري، خاصة ما ارتبط بصناعة السفن والنسيج والتبادل التجاري عبر الموانئ. كما عرفت المدينة ازدهارًا علميًا تمثل في انتشار المؤسسات التعليمية وعلوم الدين والفكر، إضافة إلى إسهاماتها في الفنون المعمارية والزخرفية التي عكست الهوية الفاطمية، فضلاً عن العادات والتقاليد التي ميّزت الحياة الاجتماعية لسكانها.

خلصت الدراسة إلى أنّ المهدية لم تكن مجرد عاصمة سياسية للفاطميين، بل شكلت أيضًا مركزًا حضاريًا متكاملاً ساهم في بلورة معالم الثقافة الإسلامية في المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط.

ملخص المذكرة باللغة الإنجليزية :

Abstract in

This dissertation examines the historical and cultural role of the city of Mahdia during the medieval period, highlighting its significance as one of the most prominent urban centers founded by the Fatimid's in the Maghreb. The study begins with an analysis of the emergence of the Fatimid state and the circumstances surrounding the foundation of

Mahdia by ʿUbayd Allah al-Mahdi, emphasizing the political, military, and economic motivations behind its establishment.

It also addresses the city's historical role, particularly its strategic position in the Fatimid expansions and its complex relations with regional powers such as the Umayyads in al-Andalus and the Byzantines in the Mediterranean. Mahdia served as a political hub for diplomatic agreements and external policies, consolidating the Fatimid's' influence across the region.

On the cultural level, Mahdia played a vital role in economic life through agriculture, crafts, and trade, notably shipbuilding, textile production, and maritime exchanges. The city also witnessed a flourishing intellectual and artistic life, with significant educational institutions, advancements in religious and scientific knowledge, as well as distinctive achievements in architecture and decorative arts. Moreover, its social customs and traditions reflected a unique cultural identity.

The study concludes that Mahdia was not only a political capital of the Fatimid's but also a comprehensive cultural center that significantly shaped the Islamic civilization of the Maghreb during the medieval era.

فهرس المحتويات العامّ

المحتوى	الصفحة
الإهداء.	

شكر وتقدير.	
مقدّمة البحث.	01
الفصل الأوّل: نشأة الدولة الفاطمية وتأسيس مدينة المهدية.	11
المبحث الأوّل: قيام الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي	13
المبحث الثّاني: تأسيس مدينة المهدية.	19
الفصل الثاني: الدور التاريخي لمدينة المهدية.	30
المبحث الأوّل: التغيرات السياسية في بلاد المغرب الاسلامي في ظل الحكم الفاطمي.	32
المبحث الثّاني: السياسة الخارجية للدولة الفاطمية.	37
الفصل الثّالث: الدور الحضاري لمدينة المهدية.	43
المبحث الأول الحياة الاقتصادية في المهدية .	45
المبحث الثّاني: الحياة العلمية والفنية بالمهدية	51
خاتمة البحث.	59
قائمة الملاحق.	62
قائمة المصادر والمراجع.	74
الملخّص باللغة العربية والانجليزية .	81
فهرس المحتويات العامّ .	83